التوراة

تاريخها وغاياتها

ترجمة وتعليق

سهيل ديب



مقدمة الناشر

اليهودية معتقد يختلف عن معظم المعتقدات والأديان ؛ هي دين مغلق ، فـلا يحق لأي إنسان أن يعتنق اليهودية . بمعنى أوضح : إن اليهود لا يقبلون في صفوفهم إنساناً جديداً يعتنق دينهم ، خلافاً لجميع المبادىء والأديان التي تعمل لزيادة المؤمنين بها . ولكي يكون الإنسان يهودياً يجب أن يكون من أم يهودية. وما زالت محاكم اسرائيل ترفض الإعتراف بيهودية مواطنيها من أب يهودي وأم غير يهودية [١] .

وقـد ارتبطت كلمة « يهودي » في أذهان الناس ، بتصور خاص وصفات معينة خلال عصور التاريخ . واستطاع معتنقو

---

(١) اعترض الحاخام الأكبر في حيفا على زواج أحد ضباط المظلات من غاليا بن غوريون (حفيدة بن غوريون) لأنها من أم انكليزية مسيحية ، والحجة التي قدمها الحاخام « ليس هناك أي إثبات على أنها يهودية » .(جريدة لوموند ٢٤ شباط ١٩٦٨) .

اليهودية أن يحافظوا على دينهم وعرقهم،فلم يندمجوا في المجتمعات التي عاشوا معهـــا في كل البلدان ، وانعزلوا في « حارات » أو « غيتو » ، لا تهم التسمية ، المهم أنهم انعزلوا عن الشعوب التي عاشوا معها ، في أماكن خاصة ، وحافظوا على لغتهم وديانتهم وتقاليدهم وسلوكهم المبني على مبدأ واحد هو استغلال الشعوب الأخرى بأية وسيلة . فهم وحدهم « شعب الله المختار » وجميع الشعوب إنما خلقت لتخدم ذلك الشعب .

ويعود الفضل في ذلك إلى دينهم ومعتقداتهم. وقد يستغرب المرء كيف يتهرب غير اليهود من التمسك بمبادىء دياناتهم أكثر من اليهود الذين يتشددون بالتمسك بها . وتحليل ذلك بسيط ، فالديانات كلها مبنية على مثل عليا،وتفرض على معتنقيها واجبات كما تتشدّد في منع استغلال الآخرين أو احتقارهم . والانسان أناني بطبعه ، على الغالب، يحب استغلال غيره. وهذا ما أدركه الذين وضعوا أسس الديانة اليهودية الأقدمون ، إذ يجمع معظم علماء الديانات تقريباً بمن فيهم اليهود ، على أن اليهودية بوضعها الحالي هي غير الدين اليهودي الذي جاء به النبي موسى ...

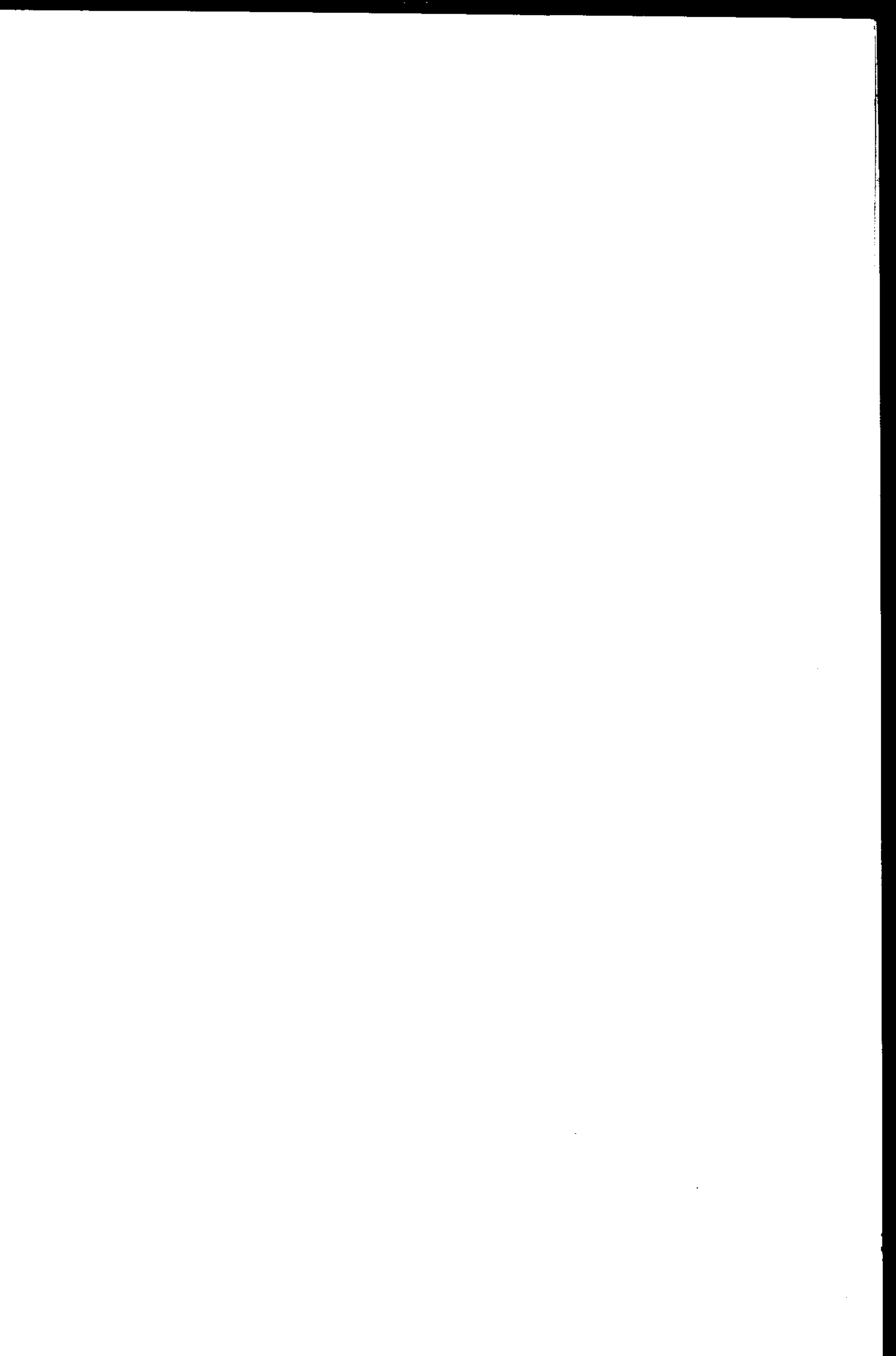
ومما لا خلاف فيه ان التلمود ، وهو الكتاب الذي يشرح العقيدة اليهودية ، هو كتاب سري وضعه حاخامات اليهود [1]

---

(١) راجع « التلمود تاريخه وتعاليمه » لظفر الاسلام خان ، منشورات : « دار النفائس ».

خلال فترة امتدت ما بين ٤٠٠ — ٦٠٠ سنة . أما التوراة فيرى بعض البحاثة أنها من وضع العلماء الدينيين والدنيويين الأقدمين أيضاً ، ومن هؤلاء كاتب النصوص الأصلية في هــذه الدراسة ، وهو كاتب مسيحي لاهوتي حـــاول أن يثبت نظريته بدراسة تاريخية للتوراة ، وتحليل علمي لما ورد فيها ... ونظراً لأهمية هذه الدراسة وما فيها من أمور يجهلها معظم الناس،فإننا نضعها في متناول يــد قارىء العربية بعد تدقيقها وشرحها والتعليق عليها . آملين أن تساهم في تعميم معرفة بعض جوانب معتقدات اليهود ، وتكشف الغطاء عن مصدر الشرور في سلوكهم .

النـــاشر



مقدمة المؤلف

يسمع الحكيم فيزداد فائدة . والحكمة
والتأديب يستهين بهما السفهاء . والسفهاء
« يموتون في عدم اللب » .

(أمثال ، ١ : ٥-٧ و ١٠ : ٢١)

كان الكتاب المقدس خلال قرون طويلة أهم مرجع لدى العرق الأبيض ، وقد حظي خلالها بدراسات عميقة لمعانيه اللاهوتية والأخلاقية ، وتبحر فيه علماء اللغة والتاريخ بغية تنمية معلوماتنا ومفاهيمنا عنه . حتى الملحدون من العلماء قاموا مؤخراً بنشاط متزايد لدراسته مع الكتب المقدسة الاخرى ،

---

(١) المؤلف أميركي الجنسية .

بهدف رفض هذه الكتب برمتها ، على أساس أنهـا خرافات لا علمية غايتها استعباد العقل البشري .

لكن حقلاً حيوياً بقي دون دراسة ، اذ اعتبر قادة العرق الأبيض الدينيون والدنيويون ولوجه أمراً محرماً، **ألا وهو المعنى السياسي للتوراة .**

ومع تقديري المتواضع لضخامة البحث والدراسة اللازمين لاستكمال تقرير كامل عن المعاني السياسية للتوراة ، افتتح باب مناقشة هذا الموضوع المحرم ، مستلهماً الإرشاد الإلهي في هـذه المهمة الصعبة .

وأعتذر لنشر هذه الدراسة دون توسع وتعمق، فهما يتطلبان وقتاً يتجاوز حياة أكثر من انسان لاستكمالها ، والخطر المريع الذي يتهدد شعبنا يجعل من الضروري فتح باب هـذه المناقشة دون أي تأخير. ولا أشك مطلقاً في أن علماء اللاهوت من مختلف الدرجات سيتعمقون في هذه الدراسة لإيجاد أوجه الكفر فيها ، واستنزال اللعنة على الذين لا يرددون كالأصداء ما يفقهه هؤلاء العلماء عن الأديان . لكنهم سيجدون هنا القليل ممـا يستطيعون غرز أنيابهم فيه ، لأن هـذه الدراسة ، ما هي إلا دراسة عن بشر ومؤامراتهم ، وليست دراسة عن الإله الخالق الجبـار . وخلافاً لهؤلاء فانني أعتبر نفسي غير مؤهل للحكم على الرب القادر العظيم (!) ، لذلك سأحصر البحث في غايات ودسائس الرجال الذين شاركوا في صياغة التوراة .

وإني وقـد أذهلني عالم اللاحقيقة الذي يفرضه علينا مدعو السلطة، أجد نفسي مضطراً لمناقشة الكثير من «الحقائق الثابتة». لكن كيف يتمكن المرء من استنباط الحقيقة، عندما تقوم هيئات غير معصومة عن الخطأ (!)، فتطلب منه أن يقبل، دون مناقشة، ما يدعونه هم أنـه الحقيقة ؟ أليس ذلك اعترافاً منهم بأن «الحقيقة» التي يدعونها لا تستطيـع الصمود أمام المناقشة الهادئة الشريفة ؟ أليس هؤلاء عميان يقودون عميان و كهنة ظلام ؟

وبعد دراسة خاشعة ومخلصة، تبين لي أن الوقائع المكتشفة تقودنا دون ريب الى نتائج مـذهلة لا مهرب منها. وأرجو القارىء الكريم أن لا يرفض هذه الدراسة لمجرد كونها لا تؤكد ما فرض علينا أن نعتقد به كالعميان، لأنه، كما قـال السيد المسيح: «قد غَلُظَ قلب هـذا الشعب، وثَقُلَتْ آذانهم عن السماع وأغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعوا بآذانهم ولا يفهموا بقلوبهم» (متّى ١٣ : ١٥).

ان ملايين الملايين من الساعات استهلكها البشر في ترتيب وتنقيح وترجمـة ودراسة وبحث الكتاب المقدس، وعلى الرغم من ذلك نرى أن باحثيه المسيحيين قـد تفادوا بعناية الاقتراب من سؤال أساسي، تعتمد على الجواب عليه كل الأسئلة الاخرى: ما هي غايات الذين وضعوا التوراة ؟ إن تهرب العلماء المسيحيين من الجواب على هـذا السؤال الرئيسي، يجعلهم في وضع لا

يستطيعون فيه التفريق بين حبة (الزيوان) وحبة القمح في تلال معلوماتهم .

ومن الواضح جداً أن علماء اليهود متقدمون على أقرانهم من المسيحيين. فما هو مفتاح السر الذي يملكونه والذي يعطيهم هذه النظرة الثاقبـــة الى أصل ومعنى كتبهم المقدسة ؟ كما وأنه من الواضح أيضاً أنهم لا ينوون البتة الافصاح عن الطريقة التي توصلوا بواسطتها الى تلك النتائج المستهترة بالنسبة الى كتبهم المقدسة .

ان غاية هــذه الدراسة هي التفسير السريع للنواحي الخفية لهذه المكتشفات المذهلة ، مبتدئة من السؤال الأول والأكبر : ماذا كان الحافز المحرك ؟

ولجعل هذه الدراسة في متناول الجميع ، وليس فقط حفنة من العلماء المختصين ، فقد اقتصرت على ذكر بعض النتائج دون الاكثار من الاستشهادات التاريخية والأمثلة اللغوية .

وإني أرجو الذين يملكون القدرة على التدقيق في النتائج التي توصلت اليها أن يقارنوا هـــذه النتائج مع الدراسات التوراتية الاخرى . لكن لا بد لي من تحذيرهم من الرجوع الى التفسيرات الحديثة المبسطة ، مثل كتاب « تفسير الكتاب المقدس »[1]

---

(١) The Interpreter's Bible , Abington Press 1956 .

الذي يحتوي على تفسيرات فريسية متحايلة ، مثل هـذا التعليق الاجوف على الاصحاح الرهيب (٦٠:١٢) من نبوءة «اشعيا»[١]، إذ يقول الكتاب المشار اليه « انها مجرد (تحشية) من كاتب أخطأ فهم وترجمة نفسية الشاعر وتفكيره . وهو قد ضللته دون شك خاتمة الشعر السابق[٢] ، بحيث فسّر كلمة « **تحضر** » بأن الملوك سيقعون في الأسر » .

وكذلك فإن إعداداً نفسياً مماثلاً قـــد سبق شطب بعض المقاطع الصريحة من الاناجيل في «النسخة الاصلية المعدلة»[٣] ، مثل شطب الاصحاح ٢٣ : ١٤ من انجيل متى[٤] . أما التفسير الذي يعطونه لهذا العمل الفاضح ، فهو موجه للجهلة فقط .

واذا ما استمر الفريسيون في « تنقيح » كتـــاب المسيحيين المقدس ، فلن يبق من ذلك الكتاب الجليل سوى هيكل مهلهل جائع !..

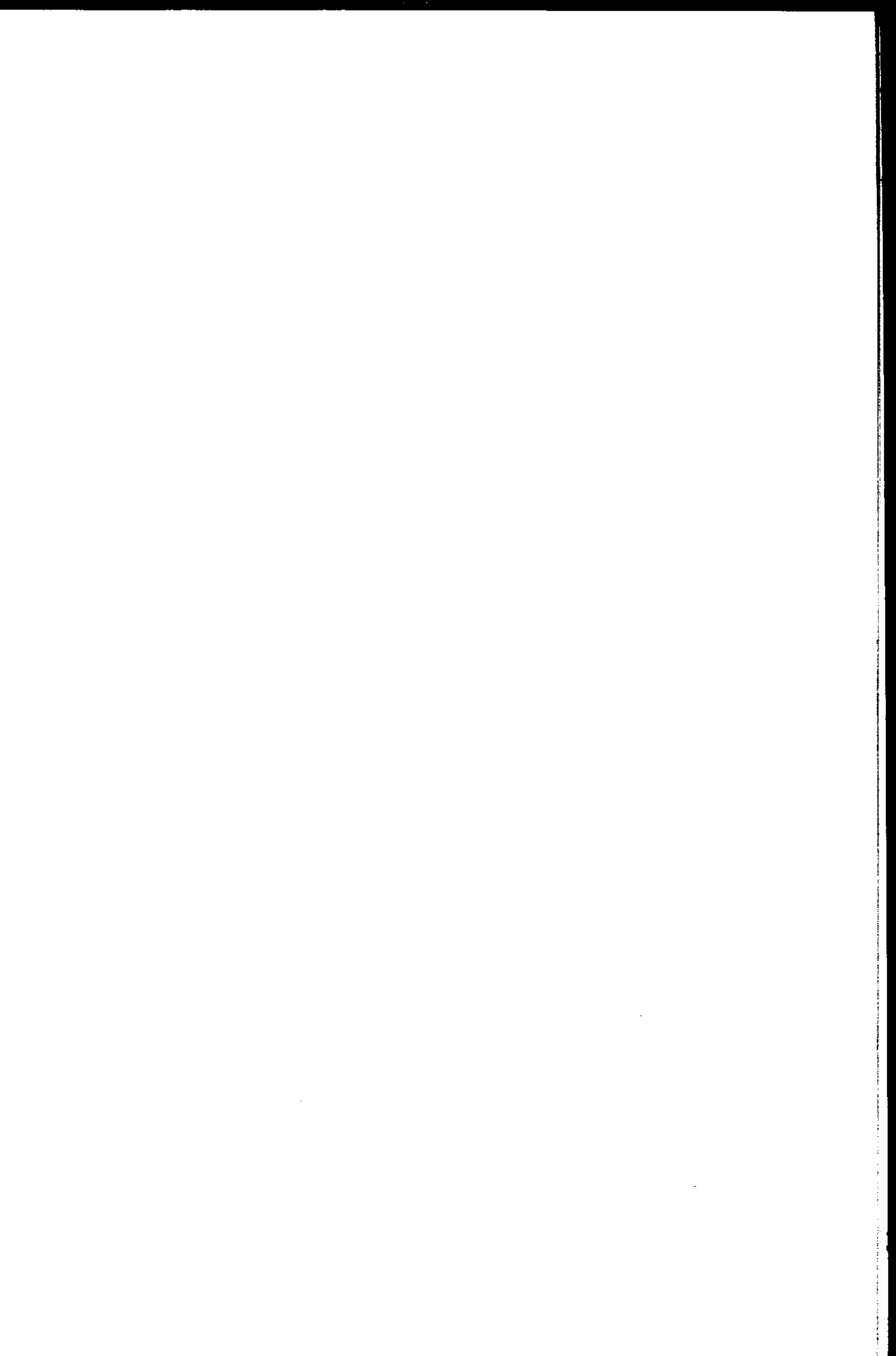
---

(١) « لأن الأمة والمملكة التي لا تتعبد لك (اورشليم) تهلك والأمم تخرب خراباً » .

(٢) الشعر السابق المقصود هو : « وتنفتح أبوابك دائماً لا تغلق نهاراً ولا ليلا ليؤتى اليك بغنى الأمم وتحضر اليك ملوكهم » .

(٣) Revised Standard Edition .

(٤) « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرآؤن فإنكم تأكلون بيوت الأرامل بعلة تطويل صلواتكم ، ومن أجل هذا ستنالكم دينونة أعظم » .



منشأ اليهودية الاورثوذكسية (١)

إن الشعب الذي عرف فيما بعد تحت اسم « اليهود » كان على ما يظهر، قبيلة فلسطينية (٢) لا شأن لها ، لكنها كثيرة الازعاج

---

(١) كلمة « الاورثوذكسية » أصلها يوناني ، ومعناها العقيده القويمة أو الملتزمة .

(٢) قد يكون في هـــذا التأكيد من المؤلف بعض التناقض مع الحقائق التاريخية المتعارف عليها والتي تحدد أصل اليهود في « أور » في العراق ، ومنها ارتحلوا الى حران في شمال سورية، ومن ثم الى فلسطين ومنها الى مصر.

ولا شك أن المؤلف يتمسك بحرفية التفريق بين كلمات « عبرانيين » « واسرائيليين » و « يهود » ، والاسم الأخير ، أي « يهود » أطلق على قبيلة « يهودا » وهو الابن الرابع ليعقوب ، والتي قطنت منطقة « يهودا » نسبة الى نفس الاسم ، في فلسطين . وكلمة « اسرائيليون » تطلق على سلالة اسرائيل أي ملاك الله ، وهو الاسم الذي أطلق على يعقوب (راجع الفصل ٣٢ من «سفر التكوين») . أما كلمة (عبرانيون) فمختلف على أصلها ، والتفسير الأكثر ترجيحاً هو أنها مشتقة من كلمة (عبر) ، أي الجماعة التي أتت عبر نهر الفرات .

(أنظر كتاب الحاخام ايزيدور ابشتاين « اليهودية » ، الفصل الأول .
« Le Judaisme », Dr. Isidore Epstein (Payot , Paris)

وقد نفي زعماؤها المتمردون إلى بابل [١] .

وبينما كان هؤلاء يتحرقون في المنفى دون أن يستطيعوا مقاومة ، تفتقت عبقرية التآمر لديهم عن فكرتي « الشريعة » و « الوعد » ، وغايتهما المحافظة على أنفسهم كعرق متمرد ، متآمر ، منطو على نفسه ، منظم تنظيماً شبه عسكري ، وغير قابل للاندماج مع غيرهم .

تقول « الموسوعة اليهودية » [٢]: « وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين ، منظمة حسب تعليمات الفريسيين ، (وكلمة الفريسيين مشتقة من الآرامية وتعني المنشقين)، كما أعيد وضع [٣] كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية ، وأعطي وجه جديد للتشريعات السابقة « السنهدرين » ، كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد محل التقاليد القديمة. وقد كيّفت الفريسية طبيعة اليهود، وكذلك حياة وتفكير اليهودي ، للمستقبل كله » .

---

(١) يقصد غزو نبختنصر لمملكة يهوذا عام ٥٨٦ ق. م ، حيث استولى على القدس، وخرب هيكل سليمان، وأخذ سبعين ألفاً ، وهم معظم يهود ذلك الزمان ، أسرى إلى بابل .

(٢) The Jewish Encyclopedia – Funk and Wagnalls – 1906

تحت كلمة Pharisee

(٣) تستعمل الموسوعة كلمة Reconstructed أي أعيد (تركيبها) أو (تجديدها) بينما تستعمل موسوعة فانك اند فاغنلز كلمة Constructed أي (ركبت كلياً) .

أما موسوعة « فنك اند فاغنلز »[1] ، فتقول في هـــذا الموضوع : « (والفصول ٤٠ — ٣٨ من نبوءة حزقيال) تتنبأ ، أو على الأقل تضع أسس النظام الديني الفريسي في اليهودية ، وكذلك التفاصيل الدقيقة للعبادة والصلاة » .

والمعلومات المدهشة التالية أعلنها بحاثة يهودي مرموق ، أصبح فيما بعد أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية في القدس :

« إن الاسس التاريخية لهذه العقيدة (اليهودية الأورثوذكسية) قد أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم عدلت ونقحت في القرون التالية [في الشريعة غير المكتوبة ، أي الشفهية ، وتلمود بابل] » .

« وكان من الحيوي ، في تلك الأيام ، أن تُصان عقيـــدة (يهوه) من ضغط العقائد الغريبة نظراً لقلة عدد اليهود النسبية . وقد كان ذلك عملاً شاقاً، لكن زعماء القبائل اليهودية اعتقدوا ، وكانوا على حق في ذلك ، انه باستطاعتهم تصحيح ذلك الوضع باتخـــاذ إجراءات استثنائية تقضي بالتفريق الكامل بين اليهود وغيرهم ، والمنع المطلق لكل تأثر بالدم والثقافة غير اليهوديين .

وهكذا نشأ مبدأ منع التزاوج والمشاركة بالأكل بين اليهود وغير اليهود . ومن هنـا أيضاً نشأت دقة التوراة اللامتناهية في

---

(١) Funk & Wagnalls Standard Reference Encyclo - pedia 1969 , page 3369 – « Ezekiel » : مقابل كلمة

تعاليمها ، كما نشأ ازدراء اليهود واحتقارهم لكل الثقـــافات والتقاليد التي لم تتمكن التوراة من السيطرة عليها » .

« وقـد فرض على القبائل الصغيرة الاعتقاد بأنها عرق نشأ وترعرع خلف الجدران المحصنة [١] عليه أن يكون دومـاً على أهبة الاستعداد،بحيث أصبح انعزال اليهود واقعاً كاملاً وأزلياً».

« وقد أمكن ضمان عدم اختلاطهم الثقافي والعرقي مع غيرهم من الشعوب بواسطة التعاليم الدقيقة عن سلوكهم كأفراد ، وكان ذلك صحيحاً حتى بالنسبة للذين كانوا يرزحون تحت وطأة أقسى الشروط الحياتية » .

« وقد أثبت التاريخ أن كتبهم المقدسة قـد أتمت غاياتها على أكمل وأوسع وجه . وكانت الارثوذكسية هي المسيطرة لأنها ، خلافاً لغيرها من المعتقدات ، لم تكن ديناً صحيحاً بمعنى الكلمة ، بل منظمة قتالية تلبس لبوس الدين غايتها الاحتفاظ بنقـــاوة (الشعب اليهودي) الفيزيولوجية والثقافية » [٢] .

---

(١) أي ما عرف فيما بعد بأحياء اليهود ،او الغيتو .

(٢) الدكتور آرثر روبن – اليهود في العصر الحاضر ، دراسة اجتماعيـة علمية ، برلين ١٩٠٤ .

Dr. Arthur Rupin : The Jews of the Present : A Socio – Scientific Study , Berlin 1904 .

راجع العنصرية لدى اليهود في الملحق .

غاية الكتب المقدسة اليهودية

لنأخذ المعطيات التـالية ، والتي تفرضها علينـا الوقائع ومعلوماتنا عن التوراة والتاريخ اليهودي :

١) إن تاريخ اليهود القديم، والمذكور في (الهكزاتوك)[١] ، أي الأسفار الستة الاولى من التوراة ، لا يمكن التحقق من صحته من أي مصدر آخر سوى التوراة .

٢) وإن علمـاء اليهود يعلنون صراحة أن تاريخهم القديم اسطوري، وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية[٢].

---

(١) الهكزاتوك Hexateuch : كلمة مشتقة من اليونانية ، أصلهـا « هكزا » او ستة ، وهي تشير الى الأسفار الستة الاولى من العهـد القديم ، أي التوراة ، كما تستعمل أيضاً كلمة (بنتاتوك Pentateuch) ، نسبة الى « بنتا » باليونانية، أي خمسة، وهي تشير الى الأسفار الخمسة الاولى من التوراة.

(٢) نقلاً عن الموسوعة اليهودية .

٣) وإن اليهودية الارثوذكسية المستندة إلى شريعتهم نشأت في بابل حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد فقط [١] .

٤) وإن علماء الكتاب المقدس كلهم مُجمعون على أن العهد القديم [٢] جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل .

٥) وإن غاية الشريعة اليهودية هي أن تربط ببعضها فئة قتالية غير قابلة للامتزاج مع الغير ولا تقبل المصالحة أو المهادنة معهم ، ولا تعرف الرحمة أو الشفقة ومنظمة تنظيماً شبه عسكري [٣] .

٦) وإن الصور الخيالية في (الهكزاتوك) تصف فئة من المتآمرين المثاليين .

٧) وإن إله اليهود القبلي يأمرهم بخدمة الشريعة تحت طائلة المحي من الوجود .

٨) وإن أسفار العهد القديم التالية للهكزاتوك إنما هي وصف

---

(١) نقلاً عن الدكتور آرثر روبن .

(٢) (العهد القديم) او (العهد العتيق) ، هو (التوراة) ، وهو ينتهي في التسلسل التاريخي ، عند ظهور المسيح ، بينما (العهد الجديد) يشمل الأناجيل وأعمال ورسائل الرسل .

(٣) عن الدكتور آرثر روبن .

للعقوبات والمكافآت التي سيستحقها اليهود حسبما يكونوا قد عصوا أو أطاعوا الشريعة .

٩) وإن رسالة الأنبياء لليهود هي ، فقط ، اتباع الشريعة لكي يأتيهم (الوعد) — أي أن يتملكوا الأرض ومَن عليها — وإلا عوقبوا بالمحو من الوجود .

وبناء على ذلك كله لا مناص أمامنا من الجزم بأن تاريخ اليهود مختلف على نطاق واسع، وقد اختلقه المتآمرون البابليون وهدفهم خلق تقاليد قومية لهـا غاية قائمة بذاتها لدى المنفيين وذريتهم ، تفرض عليهم تنظيماً باطشاً تحت أمرة الشريعة ، ومن ثم إضفاء ثوب الدين عليهم ، لإخفاء وتبرير غاياتهم الاجرامية ضد العالم .

وقد استعار واضعو المؤامرة الافكار من مضيفيهم البابليين، ثم أضافوا اليها تقاليدهم القبلية الخاصة بعد تنميقها وتزيينها، ثم أطلقوا لخيلاتهم الخصبة العنان .

إله اسرائيل

على الأبرياء من المسيحيين أن يتذكروا دوماً ما هو مفهوم اليهود لالههم القبلي « يهوه »[1] ، وأن يتذكروا أيضاً أن « الغوييم »[2] ، ليس لهم الحق بتسميته إلهاً لهم ، أي إله لغير اليهود . انه رب اسرائيل ، واسرائيل وحدها ، قدوس اسرائيل الأوحد : « لأنك شعب مقدس للرب الهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض » (سفر تثنية الاشتراع ٧ : ٦) ، « أنا الرب إلهكم الذي فرزكم من بين الأمم » (سفر الأخبار ٢٠ : ٢٤) .

ويتساءل المرء ، بشيء من الاستغراب ، بعد قراءة التوراة ، من هو الذي اختار الآخر ، أهو الرب الذي اختار شعبه ، أم هو الشعب الذي اختار ربه .

---

(١) راجع تفسير كلمة (يهوه) في الملحق .
(٢) راجع تفسير كلمة (الغوييم) تحت العنوان التالي .

ويدعي اليهود بفخر أنهم هم الذين ابتدعوا فكرة التوحيد، أي الإله الواحد ، لكن طريقتهم في تثبيت واستكمال هـــذه الفكرة في التوراة لم تكن بالطريقة المستحسنة أو المستحبة ، فكتبهم لا تشير الى الإله الواحد إلا من خلال سيطرته على الآلهة الاخرى وتحطيمه لهـا . والوصية الاولى لا تشير الى إله واحـد كوني وأزلي ، بل الى إله إسرائيل وحدها ، والذي يجب على اليهود عبادته دون غيره من الآلهة: « أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة اخرى تجاهي » (سفر تثنية الاشتراع، ١٥ : ٦ – ٧). أما هـــذه الآلهة الاخرى ، فقد أتى ذكرها باستمرار في العهد القديم ، إذ أضاف الفريسيون فكرة جديدة أخاذة الى مفهوم الرب القبلي السامي لدى اليهود : سيقوم (يهوه) على تحطيم الآلهة الاخرى جميعها ، ويحكم الأرض عندئذ وحـده ، دون غيره من الآلهة إذ يكون قد انتصر عليها ، وذلك بواسطة شعبه المختار : « الرب رهيب عليهم فيستأصل جميع آلهة الأرض وله يسجد الناس كل واحد من موضعه جميع جزائر الأمم » (نبوءة صفنيا ٢ : ١١) .

الغوييم

لا يستطيع غير اليهودي أن يفهم التوراة فهماً صحيحاً ما لم يدرك تماماً معنى ومدى شمول الكلمة العبرية «غوي» ، وجمعها «غوييم» .

وترجمت هذه الكلمة في النص الانكليزي الى « الأمم »[1]، أو « الشعوب » ، وهم غير اليهود ، أو الغرباء ، أو الذين لم يقبلوا باليهودية كدين. ولئن كانت هذه الترجمة صحيحة حرفياً، إلا أنها لا تعطي القارىء غير اليهودي ردة الفعل العاطفية المثيرة التي تخلقها كلمة (غوييم) في الذهن الفريسي . وحسب الظروف أو النصوص المستعملة بها، تعني كلمة « غوييم » بالنسبة لليهودي، تارة العدو العالمي المكروه ، وطوراً السعادين الخليقة المحتقرة ، والحيبيات البشرية ، أو قطيع الغوييم الغبي ، او الإرث الذي وعدهم به يهوه .

لذلك، ففي مقاطع التوراة التي تلي في هذه الدراسة، سنعيد كلمة غوييم الى مكانها الطبيعي، لنعطي القارىء غير اليهودي المفهوم الحقيقي للوصايا الحاقدة المتعلقة بكل البشرية ، خلا شعب إسرائيل.

---

(١) راجع كلمة (الامم) في الملحق .

ولادة «المؤامرة»

ذكرت المراجع السابقة التي أشرنا اليها أن نبوءة «حزقيال»، الموضوعة بين السنوات ٥٩٢ و ٥٧٠ قبل الميلاد، كانت بداية سيطرة المبدأ الفريسي على اليهودية كدين. وهذا الواقع تدعمه حقائق دامغة. فنبوءة « حزقيال » تتجاهل تجـاهلاً تاماً الهكزاتوك، أي الأسفار الستة الاولى من التوراة، مما يحمل على أن هذه الأسفار الستة **لم تكن موجودة البتة** في زمن «حزقيال». ومما يلفت النظر بشكل خاص، بل مما يذهل حقاً، أن « حزقيال » لم يأت البتة على ذكر موسى، الرجل الأكبر لدى اليهود قاطبة، مع ما له من مكانة عظيمة لدى اليهود. وقـد قام (حزقيال)، عوضاً عن ذلك، على وضع الشريعة منفرداً.

وقد أتت نبوءة « حزقيال »، وللمرة الاولى وان كان ذلك بشكل بدائي، على تقديم الفكرة القائلة أن السبي الى بابل ليس سوى اسلوب « يهوه » في تطهير إسرائيل المتمردة والملحدة والمتفسخة، لتكون جاهزة للسيطرة على العـالم عن طريق حكومة يهودية عالمية تقوم على دين « يهوه ».

أما كلام حزقيال الكثيف الغزير والبدائي في آن واحد ، فقد وضع الكتبة [1] اللاحقين في مأزق حرج ، خاصة بعد أن تم وضع كتب الأنبياء واستكمل نظم الشريعة ، إذ جعل حزقيال من نشوء اليهودية الحقيقي أمراً يكتنفه الغموض، لما بين حزقيال وباقي التوراة من التناقض . ولولا جهود حنانيا بن حزقيّا ، لاندثر تراث حزقيال وضاع ، لما لاقاه من تجاهل من قبل الكتبة .

ونجد في نبوءة حزقيال الكثير من الأفكار والرموز والكلمات مرتبة بتتابع منطقي ، وقد أصبحت فيما بعد ثابتة في الكتابات اللاحقة . وقد كانت نبوءة حزقيال ، بالنسبة للكتبة اللاحقين ، كمثل البناية المهجورة التي يأخذ منها البناؤون المواد المتروكة لرفع أبنيتهم الجديدة . وقد أنقذت نبوءة حزقيال من الضياع بأعجوبة ، كما ذكرنا ، وبقيت كما هي صافية غير محرفة ، بينما ضاعت بعض الكتب الاخرى ، أو أُخفيت لا ندري ، مثل (كتاب حروب الرب) ، المذكور في « سفر العدد » ٢١ : ١٤ .

ونبوءة « حزقيال » بقيت وحدها صافية غير محرفة من بين باقي كتب العهد القديم ، كما كتبها مؤلفها الأصلي [2] بأسلوبه

---

(١) انظر « الكتبة » في الملحق .

(٢) يذكر الثقات في معرض الحديث عن نبوءة « حزقيال » فقط أنها من تأليف كاتبها الأصلي ، على الأقل في معظم أجزائها ، بينما يشككون في أن باقي الأسفار قد كتبها الأشخاص الذين تحمل هذه الكتب أسماءهم .

البارع من أولها إلى آخرها . وخيال حزقيال المتأجج الجبار والجريء المبدع دفع حفنة من الحاقدين إلى ركوب أكبر وأخطر مؤامرة في تاريخ البشرية كلها . وتتالى الزمن على وضع «التوراة» والكتب اليهودية المقدسة الاخرى بحيث أصبحت أكثر تهذيباً وبراعة في الوضع ، لكنها غامضة لا يدركها سوى القلائل من المختارين ، وتوجت في « تلمود بابل » و « القبالا » . وليس هناك من شك أن الكثير من الكتب المقدسة اليهودية الاخرى كانت موجودة إلى جانب « كتاب حروب الرب »، المذكور فيما سبق، لكنها اندثرت، إنما قد ذكر حزقيال بعضها ، مثل «شريعة الكهنة» (٢٦:٧)، والسجلات الملكية وسجلات السلالات. وكما ذكرت « الموسوعة اليهودية » ، فقد أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية بعد « حزقيال » ، كما أعيد وضع جميع الكتب المقدسة السابقة المخالفة للنصوص الجديدة .

ولم يكن « يهوه » ، قبل « حزقيال » ، سوى إله آخر من الآلهة القبلية السامية ، لا يختلف عنها بشيء ، مثله مثل (بعل – مردوخ) في بابل ، و (ملكارت) في صور ، و (آشور) إله الآشوريين . وقد أتى « حزقيال » فأضفى عليه صفات من الألوهية لم تكن موجودة فيه .

وكون الديانة اليهودية ثبتت بشكلها النهائي في بابل ، جعل من البديهي أن تتأثر بالديانات والمعتقدات التي كانت مسيطرة

هناك في ذلك الزمان . ويقول أحد المراجع اليهودية الصميمة[١] في هذا الموضوع : « ان تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار ، وبشكل مستمر ، الديانات والثقافات الاخرى التي نمت وترعرعت في وادي الفرات ... إن الاصول القضائية البابلية ، وكذلك الطقوس المعمول بها في المعابد البابلية ، يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية في الاصول القضائية والطقوس الدينية » (قـــاموس التوراة ، منشورات « سكريبنر » نيويورك ، ١٩٠٩)[٢] .

---

(١) A Dictionary of the Bible, Charles Scribner's Sons, New York, 1909.

(٢) لأجل معلومات ودراسات أوسع عن موضوع دين بابل وكذلك أساطيرها وتأثير ذلك على نشوء وتطور الدين العبراني ، يراجع كتاب قيم جداً نشـر عام ١٩٥٢ وأعيد طبعه تباعاً ، اسمه (الانسـان وآلهته) ، تأليف هومر سميث ، منشـورات (يونيفرسال لايبريري)

Man and his Gods, Homer W. Smith, Universal Library, 1956.

في الصفحات ٩١ وما يليها من طبعة ١٩٥٦ ، ممـــا لا مجال لذكره هنا نظراً لطوله وتوسعه في الموضوع .

ملاحم اليهود الاسطورية

كان على الكتبة البابليين مؤلفي (التوراة) أن يهيئوا المنفيين اليهود نفسياً للرحيل من بابل ، ومنها يقومون على احتلال العالم كما وعدهم « يهوه » . والطريق إلى ذلك ستكون طبعاً طويلة وشاقة ، ومن المستحسن أن يكون لها سابقة في تاريخ اليهود .

لذلك ، فقد ألّفوا ملحمة ، تصف بعبارات اسطورية قصة رحيل سابق من بلد قوي آخر ، مصر[1] ، ثم كيف سيحتلون بعد ذلك الأرض « التي تدرّ لبناً وعسلاً » (حزقيال ٢٠ : ٦). أما قصة ضياعهم في الصحراء لمدة أربعين عاماً ، فغايتها تنبيههم إلى أن الطريق ستكون صعبة ، وأن أجيالاً ستمر قبل أن يتحقق « الوعد » .

وقد جاء على لسان القديس بولس ، أحد حواريي السيد المسيح وهو حاخام يهودي سابق اعتنق المسيحية والتحق بتلامذة

---

(١) انظر « الخروج من مصر » في الملحق .

السيد المسيح وتبوأ مركز الصدارة بينهم ، أحـــاديث كثيرة مسجلة في رسائله المختلفة ، تعطي البرهان على أسطورية أسفار التوراة القديمة ، فيقول مثلاً : « انه مكتوب انه كان لإبراهيم ابنان ... وذلك إنما هو رمز » (رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية ، ٤ : ٢٠ – ٢٤)[١] .

وكذلك نجد أن معظم الروايات التي ذكرت في الأسفار القديمة على أنها من صلب التاريخ اليهودي ، إنما نقلت عن قصص وأساطير بابلية قديمة ، جرى تحويرها وتعديلها بحيث تتماشى مع الرواية الفريسية عن تاريخ اليهود ، مثل قصص التكوين والنمرود والطوفان ، وبرج بابل ، وغيرها .

وقـد كان موسى بطلاً أسطورياً بالنسبة لليهود ، مهمته أن يكون المتكلم باسم « يهوه » . ولعل المؤلفين الفريسيين قد لاحظوا نقطة الضعف في الرواية التي ألفوها ، وهي عدم وجود أي شاهد على الرواية غير موسى ، فجعلوا من « اجتماعات القمة » بين موسى و « يهوه » اجتماعات سرية للغاية ، بناء على تعليمات « يهوه » نفسه ، إذ أعطى هـذا الأخير تعليمات مشددة لكي لا يتجسس أحد عليها : « وقال الرب لموسى ... واجعل حداً للشعب من حواليه (أي جبل سيناء حيث حصلت الرواية) وقل لهم

---

(١) أنظر « رمزية البنتاتوك » في الملحق .

احذروا من أن تصعدوا الجبل أو تمسوا طرفه فإن كل من مسّ الجبل يقتل قتلاً لا تمسه يد بل يرجم رجماً أو يرمى بالسهام بهيمة كان أو إنساناً لا يبقى عليه » (الخروج ١٩ : ١٠ و ١٢ — ١٣) .

ولا نستطيع ، مهما حاولنا ، أن نجد سنداً تاريخياً يؤكد قصص « سفر الخروج » ، فالتاريخ المصري ، وهو تاريخ موازٍ زمنياً لروايات « الخروج » جرى تسجيله بعناية ودقة بالغتين ، يرفض بعناد واصرار أن يعطينا أي تأكيد أو اشارة لهذه القصص. أما مشاق ومتاعب اليهود المذكورة في « سفر الخروج» والمجاعة الكبرى والكوارث الطبيعية العظيمة التي أصابت مصر كما ذكرتها التوراة ، فلا مخرج أمامنا سوى الجزم بأن اليهود قد ادّعوها لأنفسهم لكي يعطوا ذويهم أمثلة عن العذاب والاضطهاد اللذين سيصيبانهم عندما تثور عليهم شعوب « الغوييم »،فتتأجج لدى اليهود عاطفتي الحقد والانتقام ، كما تعطيهم أمثلة حية عما سيفعله « يهوه » بهؤلاء « الغوييم » ، إذا ما ثاروا على اليهود واضطهدوهم .

والأسفار الخمسة الأولى من التوراة تعطينا أمثلة عديدة عن الصفة الخيالية والأسطورية للقصص الواردة فيها . فالأسماء فيها أسماء رمزية ، وكلمة « آدم » معناها (الرجل) و (حواء) معناها (الحي) ، و (قاين) معناها (أخذ) ، و (إبراهيم) معناها (أبو الذرّية الكبيرة) ، و (إسرائيل) معناها (أمير الله) ، و (يوسف) معناها (الزيادة) ، الخ ... كما أن أسماء

سلالات (نوح) هي أسماء بلدان ، ومنها « آرام » (سورية) ، و « مِديَن » (صحراء الأردن) ، و « مزرائيم » (مصر) ، و « كنعان » (فلسطين) ، و« إيلام » (العجم) ، و «آشور».. والجدير بالملاحظة أنها أسماء دخلت للمرة الأولى إلى التوراة في « حزقيال » كأسماء لبلدان ، وقد اقتبسها الكتبة اللاحقون لإطلاقها على أبطال رواياتهم .

وكون تاريخ اليهود معظمه أسطوري جعل مدونوه يسرحون بخيالهم في التوسع فيه ، طالما ليس هناك أساس له ، وهي طريقة دينية يهودية متعارف عليها اسمها (المدراش) [1] . وهاكم نبذة قصيرة عن طريقتهم في التوسع في أساطيرهم عند وصفهم أبطالهم التقليديين ، وعلى رأسهم بطل أبطالهم بلا منازع يعقوب ، الذي سمي فيما بعد (اسرائيل) أي (أمير الله) . يعقوب كما نعلم ، تزوج ليّا ثم راحيل اختها .

« ناحت راحيل : كيف تمضي ليلة كاملة مع أختي هذه دون أن تلاحظ الفرق بيننا ولا مرة واحدة؟ ألم تلمس شعرها الخشن؟ ألم تشعر بيديها السمينتين الثقيلتين حولك ، وعندما قبّلت حلمتيها ، كما اتفقنا ، ألم تدرك مباشرة انها لم تكن أنا ، وانه كان عليك أن تفتش عنها على بطنها ، أو على الوسادة إلى جانبها » [2] .

هكذا يبني اليهود أساطيرهم !

---

(١) أنظر المدراش في الملحق .

(٢) Rachel's Lament , By Shlomo Katz

الشريعة

من خلال روايتهم عن موسى ، فرض المؤلفون البابليون على شعبهم « الشريعة المنزلة من الله » ، وقد توّجت بتعليمات رهيبة على اليهود اتباعها لكي يستحقوا « الوعد »، وغاية هذه «الشريعة» كما يظهر للقارىء الحصيف، تنظيم الشعب اليهودي تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً للسيطرة على أعدائهم من « الغوييم ». و « الشريعة » تركّز تركيزاً خاصاً على الحقد الأبدي الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقليدين ، أي « الغوييم » .

« وأرسل هيبتي أمامك وأكسر جميع الغوييم الذين تصير اليهم واجعل جميع أعدائك بين يديك مدبرين وابعث الزنابير أمامك فتطرد الحويّين والكنمانين والحثيين من وجهك لا أطردهم من وجهك في سنة واحدة كيلا تصير الأرض قفراً فتكثر عليك وحوش الصحراء ، لكنني أطردهم قليلاً قليلاً من أمامك إلى أن تنمي فترث الأرض واجعل تخمك من بحر القلزم إلى بحر فلسطين

ومن البرية إلى النهر فإني أسلم إلى أيديك سكان الأرض فتطردهم من أمـام وجهك لا تقطع لهم ولا لآ لهتهم عهداً ولا يقيموا في أرضك » .. (الخروج ، ٣٣ : ٢٧ وما يلي) .

« وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر اليهـا لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك ... وأسلمهم الرب إلهك بين يديك وضربتهم فابسلهم إبسالاً لا تقطع معهم عهـداً ولا تأخذك بهم رأفة .. بل كذا تصنعون بهم تنقضون مذابحهم وتكسّرون أنصابهم وتقطّعون غاباتهم .. إنك شعب مقـدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض » (سفر تثنيـة الاشتراع ٧ : ١ وما يلي) .

« وتفترس جميع الغوييم الذين يدفعهم اليك الرب إلهك فلا تشفق عيناك عليهم .. » (تثنية ٧ : ١٦) .

هذه خلاصة « الشريعة » لنيل « الوعد » . وأوامر « القتل الجماعي » هذه تتكرر في كل التوراة التي تنظم حيـاة وتفكير اليهودي وعاداته ، وعلينا أن نتذكر دوماً أن التعاليم اليهودية هذه تقرأ سنوياً في كل كنيس بالعالم .

ومن المفيـــد التذكير بأن واضع الأسفار الخمسة الاولى من التوراة هو ، حسب العرف اليهودي ، موسى ، ذلك الشخص

الاسطوري والمجرم الفار من وجه العدالة [1] (حسب وصفهم هم له) ، موسى ، النموذج الأكبر بالنسبة اليهم ، ماذا فعل بعد هروبه من مصر أول مرة ؟

التجأ إلى « مِدْيَن » ، فأخذه كاهنها « يَتْرُو » إلى داره وآواه ثم زوّجه ابنته « صِفُّورة » ، وبعد ذلك عاد إلى مصر ومنها قاد « الخروج » الكبير الاسطوري وعاد إلى « مِدْيَن »، حيث استقبله حموه « يَتْرُو » أحسن استقبال هو ومَن معه من العبرانيين وأحسن وفادتهم ، وزوّد موسى بنصائح ثمينة عن كيفية إدارة شعبه: « والآن اسمع مني ما أشير به عليك فيكون الله معك .. » (الخروج ١٨ : ١٩) ، والفصل ١٨ من « سفر الخروج » يعطي القصة الكاملة لحفاوة « مِدْيَن» الثانية والبالغة لموسى وإكرامها له . فماذا فعل موسى ، الشخص الكامل والنموذجي ، رداً لهذا الجميل ؟

« وكلم الرب موسى قائلاً انتقم نقمة بني اسرائيل من المِدْيَنيين ... فقاتلوا مِدْيَن كما أمر الرب موسى وقتلوا كل

---

(١)« وعندما كبر موسى،قتل مصرياً كان قد قتل يهودياً ثم فر من مصر» (موسوعة فانك أند فاغنلز ، ص ٦٢٢٢ الجزء ١٧ ، ١٩٦٩) . «ونظر موسى فإذا برجل مصري يضرب رجلاً عبرانياً من اخوته، فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ، فقتل المصري وطمره في الرمل .. وسمع فرعون بهذا الخبر فطلب أن يقتل موسى، فهرب» (سفر الخروج ٢ : ١١) .

ذكر ... وسبى بنو إسرائيل نساء مِدْين وأطفالهم » ..(سفر العدد ، ٣١ : ١ و ٧ وما يلي) . لكن موسى رغم ذلك لم يكن راضياً عن كل مــا حصل ، فقد ترك جندُه الأطفال أحياء ... « فسخط موسى وقال لهم ... فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها ، أما أناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهنّ لكم ».. (العدد ، ٣١ وباقي الفصل) .

وهكذا الهم « يهوه »، يدفع اليهم (تثنية ٧ : ١٦) بكل شعوب الغوييم ليفعلوا بها ما فعل موسى بمدْيَن ، فقد «سمع الرب صوت اسرائيل ودفع اليهم الكنعانيين فابسلوهم هم ومدنهم » ، (العدد ، ٢١ : ٣) ، وكنعان ، كما نعلم ، أول بلد استضاف العبرانيين على ضفاف الأردن وهم هاربون من غزو فاتحي بلدهم « أور » ومن المجاعات والمتاعب التي تعرضوا لها . وكذلك ، فقد « دفع » اليهم بأريحا « فابسلوا جميـع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر » ... (يشوع ٦ : ٢١) . وكذلك أيضاً « قال الرب ليشوع ... قم فاصعد إلى العيّ ... وأحرق يشوع العيّ وجعلها تلّ ردم ... وملك العيّ علقه على خشبة » (يشوع ، ٨ : ١ و ٢٨) . كذلك أيضاً وأيضاً « صنع بهم يشوع كما قال الرب ... وضربوا كل نفس فيهــا بحد السيف وابسلوهم ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنار » (يشوع، ٢١ : ٩ و ١١) .

وكما نلاحظ ، فإن « يهوه » ، إلى جانب دفعه « بالغوييم » إلى بني إسرائيل « ليبسلوهم ابسالاً » ، كذلك يأمرهم بقتل كل نفس منهم ، وحتى الحيوانات... ما عدا ، طبعاً « الاناث... اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال » فيستبقوهن لأنفسهم . ولا شك أن « يهوه » يفضل لشعبه المختار البكارى على الثيبات !!..

إله الحرب الجديد هـذا ، « يهوه » ، مقاتل باطش ومخطط محنك ، لا يستهين بأعدائه مهما قلَّ عددهم ، ولا يترك شاردة أو واردة إلا ويخطط لهـا ، ويحسب لكل الامور ألف حساب ، فهو لا يؤمن بترك أي من الأعداء حياً : « وإن لم تطردوا أهل الأرض من وجهكم كان من تبقونه منهم كإبرة في عيونكم و كحربة في جنوبكم يضايقونكم في الأرض التي أنتم مقيمون بهـا (والتي أعطاكم إياها يهوه) » (العدد ٣٣ : ٥٥) . ولهذه الستراتيجية محسنات اخرى ، فلعلَّ « يهوه » لا يؤمن أيضاً بأخذ أسرى من الأعداء لما في ذلك من مشاق وكلفة ومخاطر .

والقائد المحارب الذي لا يملك سيطرة كافية على جنوده ليس قائداً ناجحاً . وأرفع أنواع الهيبـة والسيطرة هي الخوف والتهـديد ، فإن لم تتبع أوامره بالقتل والابسال « فيكون اني كما نويت أن أصنع بهم أصنع بكم » (العدد ٣٣ : ٥٦) .

وحذار ألا تطيعوا « يهوه » ، والويل لكم إن سوَّلت لكم نفوسكم اتباع رب غيره ، لعل الرب الجديد أرحم وأكثر تسامحاً

كما هو مفروض بالإله ، فإن ذلك سيجلب لكم ليس فقط المصاعب ، بل الهلاك أيضاً : « فإن نسيت الرب إلهك (يهوه) واتبعت (غيره) ... فأنا شاهد عليكم اليوم بأنكم تهلكون هلاكاً » (تثنية ٨ : ١٩) ، والتهديد يكون فارغاً إن لم يكن واقعياً ولم يعطِ مثالاً عما يصير بالذين يعصون الأوامر « كالغوييم التي أبادها الرب من أمامكم تهلكون لأجل انكم لم تسمعوا لصوت الرب إلهكم » (تثنية ٨ : ٢٠) .

وهكذا ، إن لم يقتل اليهود أعداءهم قتلهم « يهوه » ، وهو قادر على ذلك وقد فعله من قبل . فلا عجب إذن إن كان همّ اليهود الإبادة الجماعية للغوييم ، فالخطر عليهم ، إن لم يفعلوا ذلك ، كبير من إلههم هم .

أسفار التوراة

يجمع البحاثون والعلماء ان كتاب « حزقيال » وضع أولاً ، ومن ثم ركّبت من حوله الكتب الأخرى ، وعلى رأس هؤلاء البحاثين العلماء اليهود أنفسهم .

وكما سبق وذكرنا ،فإن العلماء اليهود سباقون في هذا المضمار ، ولعل تسرعهم في كشف الحقائق الخفية في كتبهم المقدسة ، والتي بقيت عصوراً طويلة مقبولة دون مناقشة ، غايته استباق أي تدقيق قد يقوم به العلماء من غير اليهود ، وهكذا يكسبون صفة العلماء الموضوعيين ، بينما هم ، في الواقع ، لا يخافون أن يضعف إيمان اتباعهم الأعمى بكتبهم وتعاليمهم .

وليس ذلك بحاجة إلى برهان ، فنحن نراه يوماً بعد يوم . وعالم يهودي هو الذي أعطى تفسيراً لهذه الظاهرة ، فقد قال الدكتور أرثر روبن (أنظر الحاشية ٢ ص ١٨) أن زعماء اليهود الأولين قد خططوا بدقة لكي يبقى اليهود كتلةواحدة متماسكة ،

وذلك باتخاذهم سلسلة من « الإجراءات الاستثنائية » بحيث أصبح « انعزال اليهود واقعاً كاملا وأزلياً » ، وأمكن ابقاؤهم طوال هذه القرون تحت سيطرة زعمائهم الكاملة ، وهؤلاء قد أثبتوا ، على مرّ الأجيال والعصور ، كفاءة نادرة في هذا الحقل إذ خلقوا جيلا بعد جيل من اليهود الذين كيّفت عقولهم لقبول فكرة « العرق الذي نشأ وترعرع وراء الجدران المحصنة » مما يؤدى ، منطقياً وواقعياً ، إلى بقاء سيطرة الزعماء . فالدين اليهودي ليس « ديناً صحيحاً ، بل منظمة قتالية تلبس لبوس الدين ، غايتها الاحتفاظ بنقاوة الشعب اليهودي » ، والعبارات بين المعترضتين كلها مأخوذة عن الدكتور آرثر روبن المذكور في صدر هذه الدراسة[1] .

---

(١) يلاحظ أن المؤلف لا يتطرق إلا قليلاً لماهية « الشريعة الموسوية » فيما يتعلق بالعلاقات بين البشر ، ولعل من الجدير بالذكر ان هذه الشريعة تضع الخطوط العامة للعلاقات بين الناس ، ثم تطبق حسب تفسيرات الحاخامين . وقد دونت هذه التفسيرات كلها بهامش نص التلمود ، وفي بعض الأحيان تأتي بعض التفسيرات متناقضة ، بحيث يختار القارىء الجديد اياها يطبق .

يقول الحاخام المعاصر آدين شتاينزالتز : « أحياناً نجد موضوعاً وبهامشه نجد حوالي صفحتين تحاولان تفسيره وأحياناً أخرى نجد جواباً يعتقد واضعه أنه الجواب الصحيح، لكن الأجوبة الأخرى لم تشطب من النص بحيث نجد تفسيرين أو أكثر لكل نص ، تتناقض أحياناً » .

ومن الذين وضعوا تفسيرات أو اجتهادات هامشية على التلمود موسى بن ميمون المشهور. ومن بين تفسيراته هذا الاجتهاد الطريف، ترجمه إلى العربية العامية الحاخام الدمشقي أبو العافية من (سفر قما ورقة ٣٦) «لما يصدف مشروعية بين يهودي وبين مصري هكذا يكون التخرج تنظر ان كان اليهودي يطلع له =

وهكذا ، فليس هناك أي ضرر ان حطمت بعض الحقائق ، طالما أن الأساس لم ولن يمسّ ، وطالما أن الذي يحطمه اليهود ، بمحاولاتهم العلمية هذه ليس كتبهم المقدسة ، بل بالواقع هو كتاب المسيحيين المقدس ، إذ دمج « العهد القديم » إلى « العهد الجديد » ليصبحا « الكتاب المقدس » لدى المسيحيين . أما كتاب اليهود المقدس الحقيقي ، فهو كما نعلم ، « التلمود » [1] ، أما « التوراة » فهي مجرد كتاب تاريخي أسطوري في معظمه . ولا خوف مطلقاً على « التلمود » طالما أنه لا ولن يقع بيد العامة ، حتى اليهود منهم ، وطالما ان ما كتب فيه منذ أقدم العصور لا تجري مناقشته أو تحريفه ولا حتى تعديل صفحاته في الطبعات المتتالية .

قلنا ان كتاب « حزقيال » وضع أولاً ، ومن ثم تمّ وضع باقي الكتب كلها ، بعد أن اكتشف الكتبة الفريسيون الإمكانيات الواسعة التي فتحها أمامهم « حزقيال » بخياله المتأجج .

وقد تعمق « اشميا » وتوسع في بعض مقاطع من «حزقيال»

= الحق في شريعة المصري يروح اليهودي يشارعه في شريعته ويقول له: هكذا شريعتكم وإذا شاف انه أحسن لليهودي في شريعة اليهود لا يشارعه غير في شريعة اليهود ويقول له هكذا شريعتنا» ، وقال العالم المذكور «لا تتعجبوا ولا يصعب عليك هذه الحالة »... (الأصول العربية - الدكتور أسد رستم ، من ٣١ - ٣٢) .

(١) أنظر الملحق ، التلمود .

بشكل هـــادىء وعميق على طريقة « المدراش » الذي أخذنا نموذجاً عنه في « نواح راحيل » الذي سبق ذكره ، بينما كان « ارميا » أكثر حذقاً ومكراً . وأتى بعدهم « دانيال » ، وكان أكثرهم غموضاً، ونبوءاته من النوع المستعصي. وتقول «الموسوعة اليهودية » حذاء كلمة « المسيح الدجّال Anti - Christ » : « في زمن المكابين (أي حوالي ١٦٠ ق. م.) انبثقت فكرة تقديم فلسفة كاملة لتاريخ العالم ، وقد قام بهذه المهمة (دانيال) بشكل بارع » .

وكل هذه الكتب تنبّأت بقيام مملكة « يهوه » حيث يسيطر اليهود على شؤون العالم « ويرثون الأمم » ، إلى أن يقول «أشعيا» (٦٠ : ٢٠) : « لا تغرب شمسك من بعد وقمرك لا ينقص لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً وتكون أيام مناحتك قـد انقضت ويكون شعبك كلهم صدّيقين وإلى الأبد يرثون الأرض » .

لكن مـــا أن أتى « دانيال » حتى كان اليهود قد أخذهم الاستنكار والسخط لأن « الوعد » لم يتحقق. فسارع «دانيال» إلى تهدئتهم ، منبئاً إياهم أن الرب سيعلمهم بالوقت المناسب متى سيتحقق « الوعد » ينتهي سخطهم : « وقال إني أعلمك بمـــا سيكون في آخر السخط فإنه يتم في الميعـاد المحدود » (دانيال ٨ : ١٩) ، فلا تقلقوا يا بني إسرائيل ولا تتحول مناحتكم إلى سخط ، لأنه في الوقت المحدد « هذه هي الضربة التي يضرب بها الرب جميع الغوييم الذين تجندوا على اورشليم . لحومهم تذوب

وهم واقفون على أرجلهم وعيونهم تذوب في وقوبها وألسنتهم تذوب في أفواههم » (زكريا ١٤ : ١٢) .

إن صلاة اليهود الأكثر تردداً اليوم هي التالية : « فليتمجّد ويتقدّس اسم الرب العظيم في كل العالم الذي خلقه حسب مشيئته ، ولتتحقق ملكه أثناء حياتكم وخلال أيامكم وأثناء حياة كل بني إسرائيل ، بسرعة وبالقريب العاجل ، آمين » (عن كتاب الصلاة للسبت والأعياد ، الصادر عن شركة النشر العبرية) .

وإذا بقي لدينا أي شك في معنى صلواتهم وماهية «الوعد»، فما علينا سوى الرجوع إلى « الموسوعة العبرية » أمام كلمة (الإيمان بالأخرويات Eschatology) : « إن تحطيم جيوش يأجوج ومأجوج لا يعني ، كما قال « ويبر » خطأ إبادة عالم الغوييم عند انتهاء عهد المسيح المنتظر ، بل إفناء كل سلطة وبلد تعارض ملك « يهوه » وتحقيق عهد المسيح المنتظر ، والشعوب التي ستخضع عندئذ للشريعة ستبقى على قيد الحياة ... وهكذا « يكون في كل الأرض يقول الرب ان ثلثين منها ينقرضان ويضمحلان والثلث يستبقى فيها » (زكريا ١٣ : ٨) ، أما الأرض المقدسة نفسها فلن يسكن فيها أحد من الغرباء » .

كتب التعاليم

لو تعمقنا في كل من أسفار « التوراة »، لوجدنا أن كلاً منها له غاية خاصة به ومحـــددة ، تعطي اليهود الأمثلة والوصايا والتعليمات، كما تعطينا نحن معيناً لا ينضب من المواقف والحقائق التي يجدر بنا التوقف عندها بعناية وتعمق، لما فيها من الدروس والعبر ، وكذلك الأخطار التي تنتظرنا من تحقيق « الوعد » . ولنأخذ هذه الكتب الواحد بعد الآخر .

« **سفر أستير** » مثلاً ، هو كتاب بعيد كل البعد عن الدين ، إذ هو درس وضيع وصفيق عن كيفيـة دفع سلطة الغويم إلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت امرة اليهود الماحقة والباطشة . أما احتفالهم العربيد والمتهتك بعيد « الفوريم »[1] ، إنمـــا هو احتفالهم بذكرى قتلهم ٧٥٠٠٠ من الفرس حاولوا مقاومة ابتزازهم لأموالهم وانتهاك أعراضهم ، كما أن « عيد الفصح »

(١) أنظر عيد الفوريم في الملحق .

الدموي هو احتفالهم بذكرى القتل التقليدي للمولود الأول المصري . وفي « سفر أستير » نجد تفسيراً لاختيار ألوان علم اسرائيل ، وكذلك ألوان علم الامم المتحدة [1]«وخرج مردكاي من حضرة الملك بثوب الملك السمنجوني والأبيض » .. (أستير ٨ : ١٥) .

أما كتابا **« سفر الأمثال »** و **« سفر الجامعة »** فممتلئان حكمة وتوصيات لأعضاء المؤامرة لكي يبلغوا النجاح المطلوب . وقراء « التوراة »من المسيحيين البسطاء لم يحاولوا البتة الإستفادة منها ، فإلى جانب تلك الدرة من الحكمة التي توجنا بها هـــذه الدراسة، توجد درر لا تقل عنها عمقاً وواقعية « من عمل بكف وانية افتقر وأيدي المجدّين تستغني » (أمثال ١٠ : ٤)،ولعل كف الغوييم الوانيــة هي السبب الذي من أجله لا يستطيعون مزاحمة اليهود اقتصادياً .

« إن ارتداد الأغرار يقتلهم وترف الجهال يهلكهم » (أمثال

---

(١) اشارة إلى أن الأمم المتحدة هي من صنع اليهود ، ولغاياتهم فقد قال بن غوريون : « إن هدف الأمم المتحدة هو هدف يهودي» (مجـلة تايم ١٦ آب ١٩٤٨) كما قال ناحوم سولولوف ، وهو زعيم صهيوني في ٢٧ آب ١٩٢٢ في مؤتمر كارلسباد ،«إن جمعية الأمم هي فكرة يهودية ، لقد خلقناها بعـد كفاح دام ٢٥ سنة».وهناك كتب عديدة خصصت فقرات طويلة لهذه الفكرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر «اليهودية المعادية للشيوعية»تأليف جورج بيكنني ، وأحجار على رقعة الشطرنج للكومندور وليام كاي كار ..

١ : ٣٢) ، وغير ذلك من الأمـثلة والنصائح الحكيمة التي لم يظهر الغوييم أي اهتمام في تطبيقها على حياتهم العملية وفي معاملتهم مع اليهود ، إلا أننا نجد الكثير من علمائنا يتوقفون مدهوشين عند بعض من هذه الأمثلة ، لا سيما المبتذلة والعادية منها ، دون الالتفات إلى غيرها ، مثل « فليس تحت الشمس شيء جديد » ، (سفر الجامعة ١ : ٩) ، ويجدون فيها منتهى الحكمة .

لنتبع نصائحهم هم في محاولاتنا تفهم الخطر المريع الذي يتهددنا ، « لا توبّخ الساخر لئلا يبغضك . وبخ الحكيم فيحبك أفد الحكيم فيصير أحكم ، علم الصديق فيزداد فائدة » (أمثال ٩ : ٨ و ٩) ، وقد أعطى السيد المسيح حوارييه نصائح مماثلة إذ قال « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها فترجع فتمزقكم » (انجيل متى ٩ : ٦) .

أما غاية « **سفر أيوب** » فقد كانت تكييف المتآمرين ليتقبلوا العذاب والانتظار الطويلين قبل أن يتمكنوا من السيطرة على العالم ، ويتحقق ذلك بالوقت المناسب للذين ثابروا على التمسك بإيمانهم .

ثم يأتي « **سفر راعوت** » فيصف لنا كيف يجب على المرأة « الغوي » أن تتصرف إن تزوجت من يهودي . وكمثل « سفر استير » وكذلك « نواح راحيل » ، لا يمت « سفر راعوت » إلى الدين بصلة ، بل فيه أحياناً ما يبعث الاشمئزاز إلى النفس ،

لا سيما عند قراءتنا المقطع الذي يصف كيف تراود « راعوت » « بوعز » عن نفسها .

وأسفار « **الملوك** » الأربعة هي نموذج للتاريخ القديم المكيف من وجهة النظر الفريسية ، وغايتها اعطاء البرهان أن النجاح مرهون بالطاعة العمياء للشريعة .

أما « **سفرا أخبار الأيام الأول والثاني** »، فهما « مدراش »، أي توسع في نص توراتي ، مستوحى من أسفار الملوك .

وقد توجت هذه الأسفار كلها ، بسفري «**عزرا**» و «**نحميا**» وفيها وصف للظروف التي جرت بها القراءة الاولى للشريعة الموسوية للفلسطينيين المحطمي المعنويات ، ومن ثم قبول هؤلاء لعزرا « **الكاتب** » ونحميا الحاكم كرؤساء لهم .

و « عزرا » هو أول الكتبة ، ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين « وضعوا » التوراة والشريعة الشفهية ، والتي سيطرت لقرون عديدة على عقول وجميع مقدرات اليهود. وكان للكتبة هؤلاء حزب منظم ، هو حزب « الفريسيين » ، وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين ، أي معلمو الشريعة .

تقول « الموسوعة اليهودية » أمام كلمة« كتبة »: « هم هيئة من المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب . وقد ابتدأ تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسهم . وهؤلاء الكتبة كانوا أول من علم التوراة وهم واضعو الشريعة الشفهية » .

نبوءة حزقيال

ليست غاية هـذه الدراسة إعطاء تفصيلات واسعة للأسس التاريخية للتوراة، إنما لو ألقينا نظرة سريعة على(نبوءة حزقيال) لتكشفت لنا أسرار كثيرة مما توسع وتعمق بها العلماء دون إيجاد أي تفسير لها. ولم يمنعهم من ذلك سوى تجاهلهم الكامل والعنيد لكتاب « حزقيال » .

ومهما كانت وجهة النظر التي التزمنا بهـا ، ومهما حاولنا ، نجد أن كتاب «حزقيال» هو أقدم الأسفار التوراتية، ولا جدل في ذلك. إلا أن بحاثي الكتب المقدسة يصرّون بعناد على تجاهله، بل قد حاولوا مراراً حذفه بكليته من التوراة .

إن هـذا السفر يعرّي التوراة تعرية تامة ، ولعل هـذا هو سبب تجاهل ، بل ورفض ، « حزقيال » من قبل العلمـاء والبحاثين . لأن « حزقيال » يضعنا أمام واقع مذهل ، بل ومزعج للبعض : إذا كان كتاب « حزقيال » حقيقياً وأصيلاً ،

فإن جميع الأسفار التوراتية الاخرى ليست سوى « مدراش » يدور حوله ويتوسع فيه ، على طريقة « نواح راحيل » ، كما يدور حول قصص قديمة وأساطير . وهذه النتيجة تعتبر كفراً من قبل العلماء الملتزمين .

ولهذا السبب ، فقد ضاع الكثير من العلماء في محاولة تفسير بعض طلاسم التوراة ، مستشهدين في ذلك بطلاسم اخرى وصفها الكتبة الفريسيون في الأسفار الاخرى التي تتكامل وتؤكد بعضها البعض .

خذ مثلاً موقع« جنة عدن »حيث حدثت قصة «التكوين». انها قصة أسطورية مأخوذة من الأساطير البابلية ، اقتبسها الفريسيون وكان عليهم إيجاد موقع مناسب لها، فاختاروا «جنة عدن » (من العبرية ، ومعناها « السرور ») ، إلا انهم أعطوا لها وصفاً أقل ما يقال عنه أنه خيالي ورمزي ، مما جعل أجيالاً متتالية من العلماء يحارون في تحديد هذا الموقع الخيالي .

والواقع يشير إلى أن « الكتبة » الفريسيين اختاروا هذا الموقع اعتباطاً من وصف « حزقيال » (لجنة الله) ، وبالغوا فيه مما أضاع جميع البحاثين الى يومنا هذا . أما وصف حزقيال «لعدن،جنة الله » فهو وصف ينطبق على جنوبي لبنان، ولم يكن لهذا الموقع أية علاقة مع قصة التكوين عند « حزقيال » .

ثم « جبل الله » حيث أعطى « يهوه » الشريعة لموسى . أخذ الكتبة هذا الاسم من « حزقيال » لما وجدوه مناسباً لقصتهم ، ومن ثم أعطوا وصفاً خيالياً لهـذا الجبل مما لا يتفق مطلقاً مع أبسط وصف لجبل سيناء . و (جبل الله) ، الذي ذكره « حزقيال » ، يصف أحد المواقع الفينيقية البركانية في حوض المتوسط ،التي سماها هؤلاء (جبل الله) لما كانت تبعثه في نفوسهم من رهبة وخوف ،« وقد كنتَ (يكلم ملك صور) في جبل الله المقدس وتمشيتَ في وسط حجارة النار » (حزقيال ٢٨ : ١٤ وما يلي) . لقـد أخذوا الاسم والوصف من « حزقيال » ، ثم وضعوا الجبل في الصحراء حيث لا بركان ولا حجارة من نار .

وكذلك تفسير العلماء « للجَلَـد » ،وهو قبة الفضاء التي تراها العين . تجاهلوا « حزقيال » فضاعوا في محاولة تفسير المقصود بهذه الكلمة التي توج بها « سفر التكوين » : « وقال الله ليكن جَلَـدٌ في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه فصنع الله الجلد ... وسمّى الله الجلد السماء » ... (تكوين ١ : ٦ إلى ٨). وابتعدوا أكثر فأكثر حين رجعوا الى التقاليد البابلية فأخذوا منها تفسيرات لا يحويها « سفر التكوين » ، وكان من الأسهل طبعاً الرجوع إلى « حزقيال » ، اذ يعطي وصفاً أبسط للجلد ، حيث يصفه رمزياً ، وكأنه السماء التي يجلس عليها عرش الاله « يهوه » .

وكذلك وكذلك الكثير من « الأسرار » ، مثل « التعميد » و « القيامة » و «الشريعة» و «المسيح المنتظر» وحتى «الخروج» لكن دون أي ذكر لموسى ، وقد أخذ الكتبة هـــذه القصة وبنوا حولها اسطورة منمقة معقدة ، وبينما لم يذكر « حزقيال » سوى « أبناء يعقوب » (حزقيال ٢٠ : ٥) ،أدخل الكتبة العديد من أبطالهم الاسطوريين وأولهم موسى ، وغيرها .

الفرّيسيون

إن تثبيت ما نسميه « المؤامرة » حصل بعد اختلاف سياسي وديني بين فئتين من اليهود ، أدت الى انشقاق عظيم الشأن والتأثير .

وضع الكتبة البابليون الشريعة ، وكما قال الدكتور «روبن»، اتخذوا اجراءات استثنائية لعزل اليهود عن باقي العالم ، ونظموا حياتهم الخاصة تنظيماً دقيقاً قاسياً ، وفرضوا عليهم شروطاً حياتية تجعلهم تحت رحمة رؤسائهم ما داموا أحيـــاء ، بل وجعلوا منهم فئة محقوداً عليها بل مُحارَبةً من باقي العـــالم، عن سابق قصد وتخطيط ، مما لا يحسدون عليه اطلاقاً .

ولقـــاء ذلك الثمن الباهظ الرهيب ، أعطوهم « الوعد » بتملك العالم ، لكن بتاريخ لم يحدد .

وكان من الطبيعي أن يفرغ صبر هؤلاء الذين انتظروا وانتظروا وهم يقاسون شظف العيش وتحكم الزعماء. فكانت فترة

« السخط » الـــتي ذكرها دانيال . وكتاب دانيال مشكوك بصحته ، كما هو مشكوك بحقيقة وجود دانيال نفسه . ولعـل مؤلف كتاب « دانيال » كان يرمز الى واقعة تاريخية ، تجلى فيها « سخط » فئة من اليهود ضد حكامهم في عهد الملوك «المكابيين»، إذ ثارت فئة من اليهود حوالي عـــام ١٦٨ قبل الميلاد ضد حكامهم عندما فقدوا أملهم بالحصول على الوعد ، وقرفوا من ذلك الحقد الدفين الذي يوجهه الرؤساء الدينيون ضد باقي البشرية .

حاول هؤلاء ، وقد أطلق عليهم اسم الصادوقيين، إذ كانوا من سلالة صادوق أحد كبار الكهنة في زمن داود ، الخروج على زعمائهم « ومؤامرتهم » ، مفضلين العيش بين باقي البشر كعضو عامل حسن النية في المجتمع الانساني ، وكانوا قد تأثروا بالثقافة والمدنية اليونانية . وكان من نتيجة ذلك أن تألف حزب مضاد لحركتهم من اليهود الارثوذكس ، سموا أنفسهم « الفريسيين » أي « المنفصلين » ، وغايتهم الابقاء على اليهود « مفصولين » عن باقي العالم . ومن ثم تغلب الفريسيون على الصادوقيين .

لكن المبدأ الصادوقي ، وهو قبول اليهودية كمعتقد فقط (مع بعض الاختلافات المتعلقة بالعقـائد والشعائر) والعيش كأفراد عاديين مندمجين في باقي المجتمع البشري ، لم يختفِ نهائياً . ففي القرن الثامن قامت في بغداد فئة سميت « القرائية » نسبة إلى « قراءة » الكتب المقدسة ، وليس سماعها فقط ، كما هو الحال في

الشريعة الشفهية ، وقوامها رفض التمسك بسنة التلمود ، الذي يعتبرونه دخيلاً على الدين . وكان زعيم تلك الفئة هو « عنان بن داود » . وقد حوربت تلك الفئة حرباً شعواء حتى أبيدت .

واليوم ، في عصرنا ، أُسست في أميركا جمعية تقوم على نفس المبدأ ، واسمها: American Council for Judaism « المجلس اليهودي الأميركي » .

وليس من المدهش طبعاً أن يحارب اليهود الاورثوذكسيون هذا « المجلس » ، لكن المضحك أن يتهموه بالعداء للسامية واليهودية !..

• • •

تلك هي الحقائق المجهولة ، لكن المبهرة ، عن محتوى وغاية التوراة ، وهي تكييف اليهود وتحضيرهم نفسياً ، بل وجسمياً أيضاً ، لتملك العالم . و « تلمود بابل » يتجاوز كل ما رأيناه بمكائده الحقيرة المراوغة والخبيثة والحمقى ، التي رائدها جنون الاضطهاد والعظمة لدى مؤلفيه .

والسلاح القديم والتقليدي الذي كيّفه وهذّبه اليهود هو دين قتالي حربي يلبس لبوس النعاج لإخفاء نواياهم المكيدية . وهكذا فإن اعتداءاتهم الحاقدة الوقحة غير المسببة ولا المحرضة من الغير ،

تبرر دينياً . وكذلك فإن كل سرقاتهم ، وجرائمهم ، وكذبهم لهـا مبرراتها الأخلاقية . ألم يعدهم « يهوه » بإرث الغوييم ؟ ألم يؤكد لهم ان مقاومة تحقيق « الوعد » هو عمل منافٍ للشريعة ويحارَب ؟ ألم يكرس الفريسيون الجريمة ويقدسوها ؟

والمسألة مجرد نسبية . إذ عندما يفترس الذئب حملاً ، مثلاً ، فأخلاقية هذا الفعل تختلف مع وجهة النظر التي تحكم من خلالها عليه : الذئب يجب أن يأكل لكي يعيش ، وهكذا فمن وجهـة نظره ، ان عمله هـذا عمل قانوني وأخلاقي . والحمل قد افترسه الذئب ، إذن من وجهـــة نظره ، فإن عمل الذئب هو أقصى درجات اللاأخلاق والشر .

وما نحن سوى النعاج الغوييم . والذئاب الفريسيون ما فتئوا يؤكدون لنـــا أن واجبنا الأخلاقي هو أن ندعهم يفترسونا ، فالإبادة الجماعية للغوييم هي أقصى درجات الأخلاق لدى اليهود.

إن ابتسامة ولا شك ترتسم على شفاه بعض القراء عند توقفهم عند كلمة « مؤامرة » . ما هي ، بنظرهم ، هـذه « المؤامرة » التي دامت منـــذ ما يقارب ألفين وخمسمائة سنة ، وستدوم ، صدقوني ، إن لم يوقفها العالم عند حدّها ويعيد هؤلاء المهووسين إلى حظيرة البشرية العاملة العاقلة .

سنسميها باسمها ، إذاً ، طالما أننـا لم نجد كلمة اخرى تقوم مقامها [1] .

لسنا أول من اكتشف « المؤامرة » ، ولن نكون آخر من يتكلم عنها .

كتّاب كثيرون مثلنـا تطرّقوا إلى موضوعها ، لكن أكثرهم ، مع الأسف ، أخذتهم سنة من الهوس حتى رأوهـا في كل ما حولهم ، في تصرف أقرانهم ، في كل حادث تعرضوا له ، ولو كان طبيعياً وعادياً ، رأوهـا في المياه التي يشربون ، وفي لفـافة التبغ التي يدخنون ، وفي المسارح ، والسينمات ، وكل أنواع اللهو والعبث والمجون التي نشاهد حولنا في هـذا العصر المتحرر .

قد يكون في معظم ما يقولون بعض الحقيقة ، أو الكثير منها ، لكن ما ينفع الوعظ والغضب وتنميق الكلام، ان كانت « المؤامرة » ستؤدي بنا الى ما يريد لنا أصحاب « المؤامرة » تماماً ، أن نعيش في جو من الرعب والخوف يقودنا الى الهوس وجنون الاضطهاد ، والانطواء ، منتظرين ، بخنوع ، اليوم المشؤوم ، يوم سقوطنا صرعى أمام القوة الباطشة الغاشمة .

---

(١) يريد المؤلف أن يوضح أن عنـاصر المؤامرة ، حسب التعريف القانوني ، غير مكتملة ، لكن لا يوجد في اللغة كلمة يمكن أن يطلقها في هذه الحالة غير كلمة « مؤامرة » .

أول من رأى الخطر هو المسيح عندما كان يوجه كلامه الى « الكتبة والفريسيين » . ومجال الاستشهاد به طويل .

لكن أقوالاً اخرى من قوم أقل مكانة تسترعي انتباهنا .

بولس أحد حواري السيد المسيح ، قال عن بطرس انه « تنحى واعتزل (عن المائدة) مخافة من أهل الختان » (رسالة بولس الى أهل غلاطية ٢ : ١٢) .

أما يوحنا ، فقد سمى بابل « الزانية العظيمة » ، لما هاله ما تفتقت عنه عبقرية الاجرام لدى الكتبة عند إقامتهم فيها .

« بابل العظيمة أم زواني الأرض ورجاساتها » (رؤيا يوحنا ١٧ : ٥) ، بعد أن قال ، متنبئاً بخراب بابل والمؤامرة البابلية « هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة » (١٧ : ١) ، ثم يقول ، وقد زاد تأثره ، « سطقت سقطت بابل العظيمة وصارت سكناً للشياطين ومحرساً لكل روح نجس » (١٨ : ٢) ثم يرى الله ، « وأحكامه حق وعدل لأنه حكم علىالزانية العظمىالتي أفسدت الأرض بزناها وانتقم لدم عباده من يديها » (١٩ : ٢) .

لكن الجدير بالوقوف عنده هو ولا شك بولس،وهو الحاخام الفريسي الذي تبرع للذهاب الىاورشليم عن طريق دمشقليسوق تلاميذ السيد المسيح موثقين الى هناك، لكنه أصبح مسيحياً بعد رؤيا حدثت له في طريقه الى دمشق .

انه متعلم ، ومتعمق في الدين اليهودي ، فأخذ يحارب اليهود

بما يعلمه عن شريعتهم حق العلم، لذا كان حقد اليهود عليه خاصة عظيماً . اسمعوه يتكلم عن الناموس ، أي الشريعة ، وكهنتها :

« وقد زاغ عن ذلك قوم فعدلوا الى الأقوال الباطلة زاعمين انهم معلمو الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون مع علمنا بأن الناموس لم يشرع للبـــار بل للأثمة والعصاة والمنافقين والخطأة الفجّار الدنسين لقاتلي الآباء وقاتلي الامهات لسافكي الدم » . (تيموتاوس ١ : ٦ وما يلي) .

أما اليهود، فله بهم كلمات مشوقة ووصف فريد« بل أعميت بصائرهم لأن ذلك البرقع نفسه باق الى يومنا هذا غير مكشوف عند قراءة (التوراة) حتى انه الى اليوم اذا قرىء موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم » . (كورنتس ٣ : ١٤ وما يلي) .

واليهود ، بنظره ، عازمون على منع كلمة الحق عن النـاس « حتى يستتموا خطاياهم كل حين » (تسالونيكي ١ — ٢ : ١٦).

خاتمة

لم يختر اليهود فلسطين «لمعناها التوراتي والديني بالنسبة اليهم ، ولا لأن ميـــاه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن ، وليس أيضاً لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الاميركتين مجتمعتين ، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وافريقيا ، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ، ولأنها المركز الستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم» هذا الكلام ليس لنا ولا هو صادر عن أي من أعداء اليهود والسامية ، بل هو للدكتور ناحوم غولدمـــان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام ١٩٤٧ [١] .

---

(١) نشرتها جريدة « الاتحاد الوطني » الناطقة بالفرنسية في مونتريال بعددها ١٢ / ٥٣ لعام ١٩٥٣ « L'Unité Nationale » .

لقد أصبحت قوة اليهود أسطورية ، أو صورت هكذا ،الى درجة جعلت بعض كبار المفكرين والكتاب ينصبّون بكليتهم محاولين دراسة هذه الظاهرة ، فتباروا في تحديد نقطة انطلاقها وواضعيها، ذاهبين في سبيل ذلك الى وضع نظريات أخذت كتباً بل موسوعات لاستيعابها .

ويقيني أن اليهود، إن كانوا حقاً أصحاب مؤامرة، يبتسمون في سرهم عند متابعة هـــذه الدراسات ، فتراهم لا يعطونها من اهتمامهم الا القدر المدروس بحيث يظل الوهم والخوف مسيطرين على من يسمونهم « غوييم » ، أي غير اليهود . فلا يحاولون نفيها إلا بصراخ ضعيف عن العــداء للسامية واضطهاد اليهود . ومن حين لآخر، يطلقون كلمة أو عبارة تجدد موجة التربص والخوف لدى الشعوب الأخرى . فالدكتور غولدمان في كلامه المذكور وان كان بالظاهر جزءاً من حملته ضد الفكرة الصهيونية كمبدأ ، إلا انه يركز انتباه المهتمين بالأمر ، إلى حقيقة وجود « المؤامرة الكبرى للسيطرة على العالم » .

ومن دواعي الأسف والأسى ان الذين وقفوا حياتهم ومجهودهم الفكري والعملي لمتابعة أنباء « المؤامرة » والتحقيق عنها وعن أصولها وظواهرها ، هم احدى فئتين : اما العاطفيون الذين تنقصهم الموضوعية في دراستهم ، فيكتفون بإطلاق الصرخات الخطابية البليغة ، لكن التي تفتقر الى البرهان الحسي، أو هم فئة من المهووسين الذين يرون « المؤامرة » في كل مكان، وفي كل عمل

أو فعل يتجاوز بنظرهم المفهوم والتفسير العادي للأمور ، مثل مقتل زعيم، أي زعيم ، أو مناوشة كبيرة أو صغيرة ، أو ثورة. وهم مثلاً يرون « المؤامرة » حتى في المياه التي يشربونها ، فهي « ملوثة » بالفلورين كجزء من مخطط لتسميم العالم ..

آخر تلك المحاولات قام بها أحد ضيوف بلادنا، وهو المهندس لوسيان كافرو ديمار. كتب كتابه المشهور«التحدي الاسرائيلي»[1] فأتى صرخة من الأعماق تتهم الصهيونية العالمية وتفضح أساليبها، لكن كتابه مع الأسف يفتقر إلى أبسط الحجج الموضوعية ، ويستند إلى عدد هزيل من المراجع، جمعها هو بسطرين في مقدمة كتابه ، وأهمها مجموعة جريدة « موند » .

وقد قدم لنا الكاتب نظرية جديدة مفادها أن نابليون بونابرت ما هو سوى عميل « للمؤامرة » . ولست أدري من نصدق ، هو أم غي بروتون [2] الذي قدم نظرية أكثر تشويقاً ، إذ يقول إن كل ما سعى اليه نابليون كان من أجل المرأة وتعلقه بها وسعيه وراءها ..

ومثل كافرو ديمار كثيرون ممن عالجوا الموضوع ، فتقرأ

---

(١) Lucien Cavro - Demars : « Le Defi Israelien »
(٢) « Histoires d'Amour de l'Histoire de France » Guy Breton .

وتقرأ فلا تخرج سوى بنتيجة واحدة : جماعة من المهووسين ، وقفوا حياتهم للتعمق في أخبار « المؤامرة » ، فخلق ذلك لديهم ، أولاً ، حالة من الغيبوبة أخذوا يهذون معها بالمعقول واللامعقول ، وثم ، ثانياً ، حالة من الخوف المستمر وعقدة الاضطهاد من قبل أصحاب « المؤامرة » ، بحيث أصبحوا هم محورها ، لا العالم .

كافرو ديمار ، مثلاً ، حكم مسبقاً أن كتابه سيُصادَر ويختفي وينتقل من يد إلى أخرى بسرية بالغة ، لما حواه من « الحقائق » الدامغة .

والماجور جنرال كونت شيريب سبيريدوفتش ، في كتابه « اليد الخفية » [١] ، وهو — والحق يقال — معين لا ينضب من المعلومات والمراجع لكل المهتمين بالموضوع ، بلغ منه الحماس ، ولا أقول الجنون ، إلى حد جعله يكتب عن نفسه أنه صاحب نظرية في التنبؤ السياسي ونبي ملهم .

والكومندر وليام كاي كار ، مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » و « ضباب أحمر يعلو أميركا » [٢] ، أصابه الخوف وسيطرت عليه عقدة الاضطهاد إلى درجة اختبأ

---

(١) Maj - Gen. Count Sherep - Spiridovich : « The Hidden Hand ».

(٢) « Pawns In The Game » and « Red Fog Over America ».

معها في قرية صغيرة في مجاهل كندا لفترة طويلة ، بعـــد أن رأى المؤامرة على حياته هو تضيق ثم تضيق . اعتدى عليه قاطع طريق مرة وهو في الخـامسة والعشرين ولم يكتب بعـــد شيئاً عن « المؤامرة » ، فأفرد فصـلاً طويلاً في كتابه [١] لتفسير مسؤولية اليهودية العالمية في هـــذا الحادث الرهيب . وكذلك فعل عندما سقطت رافعة على مقربة منه على السفينة التي كان يعمل عليها .

وقـد صدر أخيراً كتاب في انكلترا اسمه « مرجل الشرق الأوسط » [٢] ، يكفي أن نشير الى أن كاتبيه ينتميان الى جماعة تسمي نفسها «الحركة العالمية لشهود النبوءات» ، وغايتها التبشير بالمسيحية في اسرائيل الى أن تهتدي الى سواء السبيل ، وتعتنق المسيحية . ولعل الكاتبين اكتشفا أن التبشير هو أقوى سلاح لمحاربة اسرائيل ومؤامراتها ! وكما نعلم فان اسرائيل على استعداد تام لقبول هـذا النوع من الحرب ، والتراجع أمامها .

وغيرهم كثيرون .

والعاطفيون من الكتاب ، قبلوا ببعض ما يسمونه «حقائق»

---

(١) « ضباب أحمر يعلو أميركا » .

(٢) « The Middle East Cauldron », By F. A. Tatford and John McNicol, (The Prophetic Witness Movement International), Eastbourne, Sussex, England.

دون مناقشتها ثم توسعوا فيها، فجاءت كتاباتهم خالية أو تكاد من الموضوعية ، قوامها الحماس والاندفاع لمحاربة عدو يضخمونه وينفخون فيه حتى جعلوا منه وحشاً اسطورياً ، يخلق لدى قرائهم رعشة من الخوف وشعوراً بعدم جدوى المقاومة تجاه هذا العدو ذي الامكانيات التي تفوق إمكانيات باقي البشر. وهذا العدو ، على ما نعلم ، هو من البشر ، ويحاربنا بأساليب بشرية ، إنما يجب أن نعترف أنه قد امتاز باستعماله ذكائه أكثر من غيره . ولا شيء يثبت ان باقي البشر ، لو استعمل ذكاءه هو أيضاً عوضاً عن انحداره في طريق العاطفة الهوجاء، لا يستطيع قهر هذا العدو ، أو على الأقل إعادته الى حظيرة البشرية .

ومن المؤسف أيضاً أن الموضوعيين من الكتاب الذين تطرقوا الى أي من الموضوعات التي عالجها أعداء اليهودية ،هم من اليهود، وان كنا نرغب حقاً في ايجاد الحجج ، فما علينا سوى قراءتهم . انما لا يجب أن نخطىء فنعتقد أن هؤلاء هم من أعداء اليهودية والصهيونية وقد اهتدوا ، بل هم من الصهيونيين حتى أطراف أصابعهم ، لكنهم أكثر منا موضوعية .

ولعل السبب في ذلك، أو تفسيره ، هو محاولة منهم استباق الزمن وغيرهم من البحاثين الذين لا بد وأن يصلوا يوماً من الأيام الى بعض من الحقائق التي يسمون اليها. وهكذا يكسبون عطف واحترام الطبقات المفكرة لموضوعيتهم . أو لعل ذلك جزء من

« المؤامرة »، حتى يضفوا على القائمين عليها واتباعها جواً مكتنفاً بالألغاز والرهبة ، من يدري ...

خذ مثلاً كافرو ديبار ، عندما يتكلم عن مسؤولية اليهود في الثورتين الأميركية والفرنسية ، وكونهم خططوا لها ونفذوهما الى جانب شرعة حقوق الانسان والأمم المتحدة . يقدم الفكرة ثم يتوقف عن تقديم الحجة ، بل يطلب من القارىء قبولها دون مناقشة وكأنها حقيقة لا تحتاج الى برهان، ويسترسل حتى نكاد نفقد أنفاسنا . أما غيره ، فيتكلم عن دور اليهود في خلق الأمم المتحدة ، مقدماً حجة دامغة بنظره هو ، إذ يذكر مقطعاً من التوراة لتفسير أساس لوني علمي اسرائيل والأمم المتحدة على السواء « ... وخرج مردكاي من حضرة المَلِك بثوب المُلْك السمنجوني والأزرق ... » (سفر أستير ، ٨ : ١٥) . فهل هناك حجة أقوى من هذه ؟

أمـــا أبا ابيان ، وهو غني عن التعريف ، فيقول بكل بساطة [١] :

« ... وأصبح (خروج بني اسرائيل من مصر) في الكثير من الحضارات واللغات الأخرى رمزاً للتحرر الوطني والاجتماعي .

---

(١) Abba Eban : « Mon Peuple» (Buchet - Castel), Paris, P. 20.

يقول هنري جورج[1] : (من بين قـــدمي أبي الهول الضخمة يصعـــد رمز الحرية ، ومن خلال أبواق الخروج ، ترتفع بفخر شرعة حقوق الانسان). وفي القرن الثامن عشر، عندما استشير بنجامن فرانـكلين وتوماس جفرسون[2] ، في موضوع اختيار شعار مناسب للاتحاد الأميركي العتيد ، اقترحا أن يحمل شعار الولايات المتحدة صورة بني اسرائيل وهم يقطمون مياه البحر الأحمر المنشقة أمامهم ، وهم يتجهون نحو الحرية ، وفوق ذلك العبارة الآتية :(مقاومة الحكام المستعبدين هو من اطاعة الله). وفي فرنسا في عهد الثورة ، اعتبر رؤساء المؤتمر (الكونفانسيون) أنفسهم ورثة كنعان الجديدة .. » .

وقال بن غوريون ، وهو الآخر غني عن التعريف ، في مقابلة له مع مجلة « تايم » في ١٦ آب ١٩٤٨ : « ان هدف الأمم المتحدة هو مثل أعلى يهودي » .

وقال أيضاً أحد زعماء الصهيونية،ناحوم سوكولوف، في ٢٧ آب ١٩٢٢ أمام مؤتمر «كارلسباد» الصهيوني : « ان عصبة الأمم هي فكرة يهودية . لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة » .

---

(١) هنري جورج من رجالات وأدباء الولايات المتحدة في أواخر القرن الماضي ..

(٢) فرنكلين وجفرسون ، من زعماء الثورة الأميركية وواضعي دستور الولايات المتحدة .

وهكذا يفصل هؤلاء اليهود الصهيونيون الخلاف، إذ يقولون ببضعة سطور ما حاول عبثاً العديد من الكتاب ايجاد مرجع للاستناد اليه ، وكانت تكفيهم مشقة ذلك نقل هذه الأسطر .

لكن لنكن نحن أيضاً موضوعيين . حتى هذه الكلمة من أبا ايبان هل يمكن اعتبارها برهاناً على تخطيط الثورتين الأميركية والفرنسية وتنفيذهما من قبل اليهود ، وكذلك الأمم المتحدة وشرعة حقوق الانسان ؟ ألا يمكن اعتبارها مجرد مفاخرة من قبل الكاتب أن تعتبر ثورة اليهود الاولى على حكامهم المصريين نموذجاً يحتذى به ؟ ثم هل كل الذين يذكرون العرب بشيء من المديح والاطراء جزء من « مؤامرة عربية للسيطرة على العالم » ؟

ولعل ظهور ما سمي «ببروتوكولات حكماء صهيون» في أوائل هذا القرن هو نقطة البداية الحقيقية لهذه الحمى من الكتب والمقالات الدائرة حول موضوع هذه « المؤامرة » . وهذه « البروتوكولات » توجت سنوات بل قرون من الغليان في العالم المسيحي ضد اليهود، ذلك الغليان الذي تفاقم عند ظهور حادثة « درايفوس » الشهيرة في فرنسا في أواخر القرن الماضي .

وملخص القضية هي أن ضابطاً يهودياً في الجيش الفرنسي ، وهو الكابتن الفرد درايفوس ، اتهم بإفشاء بعض الأسرار العسكرية وإعطائها الى الملحق العسكري الألماني في باريس . وقد جرت محاكمته والحكم عليه بسرعة عام ١٨٩٤ ، وقد جرّت

هذه الحادثة موجة جامحة من العــــداء للسامية لم تهدأ لسنوات عديدة . وبعـــد عدة سنوات من السجن في جزيرة الشيطان ، ظهرت إثباتات جديدة تشير الى أن ضابطاً آخر ، وهو «القومندان استرهازي » ، هو الذي أفشى الأسرار ، فثارت حركات قوية مطالبة بإعـــادة محاكمة درايفوس ، تزعمها اميل زولا وأناتول فرانس ، الكاتبان المشهوران ، وجورج كلمنصو ، رجل الدولة المعروف الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء. لكن موجة العداء لليهود لم تخفّ ، فقـد أعيدت محاكمة درايفوس وحكم عليه مرة ثانية عام ١٩٠٠ ، ثم نال عفواً خاصاً الى أن نقضت محكمة التمييز الحكم وبرأت ساحة درايفوس عام ١٩٠٦ . وقـــد كان للموجة المعادية للسامية بعـــد المحاكمة الاولى تأثير كبير أعطى دافعاً أساسياً وقوياً للصهيونية الحديثة بقيادة تيودور هرتزل ، الصحفي النمسوي اليهودي ، الذي دعا فيما بعـــد إلى مؤتمر بال الشهير عام ١٨٩٧ .

ومـــا تجدر ملاحظته هنا انه كلما تعرض اليهود لحادثة ذات صدى دولي خرجوا منها بأكبر الغنائم ، لِما لتصرفهم خلالهـــا وبعدهـــا من الذكاء والدهـــاء ، مما دفع العديد من الكتّاب ، وكثيرون منهم من اليهود ، إلى الجزم بأن زعماء اليهودية العالمية كانوا يغذون بعض الحركات المعادية للسامية ، إن لم نقل كلها ، لينالوا منها أكبر الغنائم ، ولكي يبقوا سيطرتهم كاملة على اليهود.

والكتاب الذي نشره أحـــد اليهود الفرنسيين تحت اسم

« تربلنكا »[1] وثيقة خطيرة تتهم الزعماء اليهود بأنهم لو أرادوا ذلك ، لأمكنهم إنقاذ أبناء جلدتهم من أفران الغاز النازية ، لكنهم فضلوا السكوت ، والتحالف الصامت مع الالمان .

وقد ذهب أحد علماء اليهود إلى أبعد من ذلك ، إذ قال الدكتور آرثر روبن[2] ان العداء للسامية وفرض كابوسه على اليهود أنفسهم مخطط قديم يعود إلى عهد عزرا ونحميا ، اللذين وضعا « الشريعة » حوالي ٤٠٠ عام قبل الميلاد . يقول روبن :

« في تلك الأيام كان من الضروري حماية عقيدة « يهوه » من التأثيرات الخارجية ... وكان ذلك عملا شاقاً ، لكن زعماء القبائل اليهودية اعتقدوا ، وكانوا على حق في ذلك، أنه بإمكانهم تصحيح هذه الظروف باتخاذ إجراءات استثنائية ... وهكذا فرضوا على اليهود الاعتقاد بأنهم شعب نما وترعرع خلف الجدران المحصنة (أي جدران الغيتو) ، وعليه أن يكون دوماً على أهبة

---

(١) « تربلنكا » اسم لمسكر اعتقال نازي قتل به عدد كبير جداً من اليهود ، وهو أيضاً عنوان كتاب ألفه جان فرانسوا شتاينر .
« Treblinka » J. F. Steiner, (Fayard , Paris) .

(٢) الدكتور آرثر روبن، استاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية، في كتابه:
« The Jews of The Present : A Socio - Scientific Study » Dr. Arthur Rupin, Berlin 1904.

الاستمداد ... وقد أثبت التاريخ أن كتب اليهود المقدسة قد أتمت غايتها على أكمل وجه ... »

وهكذا تمّ إخضاع اليهود لسيطرة زعمائهم الكاملة والأبدية، يقررون لهم شروط حياتهم الخاصة ومصيرهم، وحتى عاداتهم الشخصية. وهكذا ضمن الزعماء اليهود طاعة أتباعهم العمياء، وأمكنهم استعمالهم لتحقيق غاياتهم مهما كان الثمن ودون اعتراض من اليهود العاديين.

نعود الى « البروتوكولات »[1]. لقد قامت حولها ضجة لم تهدأ بعد فمن قائل ان مؤتمر بال عام ١٨٩٧ قد وضعها، ومنهم من قال ان « احدهاعام » وهو الاسم المستعار لأحد كبار مفكري اليهود « آشر غنزبرغ » هو الذي كتبها بنفسه، ومنهم من قال أيضاً انها مزورة، وان القائم على وضعها هو البوليس السري القيصري المعروف تحت اسم « الأوخرانا »، وغايته تبرير موجة من اضطهاد اليهود كان يخطط لها ونفذها بعد ذلك.

وقد ظهرت أول ما ظهرت باللغة الروسية حوالي العام ١٩٠٥

---

(١) ترجمت « البروتوكولات » إلى معظم لغات العالم ومنها العربية. وأول ترجمة لها الى العربية على ما نعلم قام بها في أواخر الثلاثينات الخوري أنطون يمين في لبنان وفريدريك زريق بدمشق. وأوسع تحقيق عنها كتبه الأستاذ عجاج نويهض في كتابه المنشور عام ١٩٦٧ تحت اسم « بروتوكولات حكماء صهيون » ويقع في جزأين.

وتحمل هذه الترجمة اسم « سيرجي نيلوس » ، وقد وصلت إلى المتحف البريطاني عام ١٩١٧ ، وقام على أول ترجمة لهـــا الى الانكليزية،ومنها نقلت إلى باقي لغات العالم،الصحفي الانـكليزي فيكتور مارسدن . وهنا تبدأ الروايات بالاختلاف فمن قائل ان الكتاب وصل أولاً إلى المتحف البريطاني ومنه أخذها مارسدن وترجمها ومنهم من قال ان فيكتور مارسدن هو الذي هربها من روسيا عام ١٩١٧ ثم قام على ترجمتها ونشرها عام ١٩٢٠ . وقد وقع الأستاذ نويهض بمغالطة في مؤلفه المذكور إذ تبنى النظريتين، نظرية وصولها أولاً إلى المتحف البريطاني ، ونظرية تهريبها من روسيا من قبل فيكتور مارسدن .

أما التوقيع الذي ظهرت تحته للمرة الأولى عام ١٩٠٥ وهو « البروفسور سيرجي نيلوس »،فهو أيضاً اسم قامت حوله ضجة كبيرة ، اذ ادعى البعض انه اسم مستعـــار لشخص مجهول ، وبعضهم قال أنه حقاً من رجالات الكنيسة الروسية المعروفين . وقد تبنى الأستاذ نويهض النظرية الأخيرة ، بل وذهب إلى حد اعطاء نبذة عن حياة الرجل ، مع صورة فوتوغرافية له، نعترف بكل تواضع اننا ، بما أمكننا من المراجعة والتحقيق ، لم نتمكن من إيجاد أي مستند يعتمد عليه لها .

المهم في الأمر أن « البروتوكولات » موجودة ، وهي في متناول الجميع ، بل قد طبع منها بالانكليزية وحدها ، وحتى العام ١٩٥٨ ، إحدى وثمانون طبعة ، بلغ مجموعها أكثر من مليون

نسخة. وقد خصص لها الكثير من العلماء والمحققين كتباً ودراسات كاملة ومطولة ، ومنهم السيدة « نيستا ويبستر » ، كما تبناهـا « هنري فورد » في كتابه المشهور « اليهودي العالمي »[1] ، إذ أخذ مقاطع منها لتتويج سلسلة الدراسات التي جمعت فيما بعـد بالكتاب المذكور .

ويجدر بنا هنا أن نورد عبارة أتت على لسان السيد هنري فورد الأب ، وهي تكفي بالواقع للرد على كل النظريات عن حقيقة أو لا حقيقة « البروتوكولات » ، إذ قـال عندما انتقده أحدهم لاستعماله « البروتوكولات » والنزاع على حقيقتها لم يتم فصولاً : « لا يهمني ان كانت هـــذه البروتوكولات حقيقة أو تزويراً ، ما يهمني فقط هو أنهـا تنطبق على واقع نشاهده جميعاً بأعيننا » . واعتقادي أن هـذه الكلمة هي مسك الختام لنزاع سيمتد عصوراً قبل أن ينتهي ، ولن ينتهي الى نتيجة كلما تقادم عليه الزمن . ومن العبث ، بل من إضاعة الوقت محاولة إيجـاد نظريات لإلصاق « البروتوكولات » باليهود أو لتبرءتهم منها .

والمهم أيضاً أن زعماء اليهود والصهيونية ، على الرغم من كل

---

(١) كتاب « اليهودي العالمي » ألف باشراف هنري فورد الأب ونشرته على مراحل جريدة « ديربورن اندبندنت » بين الأعوام ١٩٢٠ / ١٩٢٢ .
Henry Ford - « The International Jew » (The Dearb - orn Independent).

الضجة التي قامت حول « البروتوكولات » ، لم يحاولوا بجدية رفع التهمة عن أنفسهم إلا بما يقتضيه فن المجادلة، فهم بما يملكون من سيطرة على وسائل الاعلام في العالم ، ساعدوا على بقاء النزاع قائماً ، يخلق سنة بعــد سنة موضوعاً شيقاً الى جانب الهوس والخوف الشديدين اللذين يسيطران على أعدائهم . ماذا يهمهم ، طالما أن « البروتوكولات » ، حقيقة أكانت أو تزويراً ، تخدم غاياتهم ، وعلى الأخص في خلق وتنمية ذلك الشعور العميق ، المخيف ، بالرعب الدفين أمام قوتهم الهائلة .

لنعيد اليهود والصهيونية الى الأرض ، فهم بشر مثلنا ، وإن كسبوا معركة ضدنا . ولنعد نحن أيضاً الى الأرض ، فلا يجدينا فتيلاً ان ساعدنا على تضخيم اسطورة القوة اليهودية العالمية التي لا تقهر . لتكن محاولاتنا موضوعية ، تفتح أعين القارىء والمواطن العربي الى حقائق بشرية عادية ، فالخطأ في التهويل في قوة العدو لا يقل عن الاستهانة به ، والطريق أمامنا طويل .

وأطول طريق يبتدىء بخطوة اولى .

سهيل ميخائيل ديب



ملحق



الأمم :

يستعمل اليهود عند تكلمهم بالعربية كلمة « الامم » بمقابل كلمة « غوييم » . ولعل أوضح تفسير لمعنى كلمة « غوييم » أو «الامم»، هو الذي أعطاه أحد الحاخامين الذين تركوا اليهودية، وقد ذكره الدكتور أسد رستم في كتابه الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي في الصفحة ٢٠ من الجزء ٥ (طبعة الجامعة الأميركية ، بيروت ، ١٩٣٣) ، بنصه الحرفي :

«الاثنين ١٣ محرم ١٢٥٦ (الموافق ١٥ آذار ١٨٤٠) بحضور الخواجه بودين كونسلير قنصلاتو فرنسا ، سُئل محمد أفندي أبو العافية (وهو الحاخام موسى أبو العافية الذي أسلم أثناء المحاكمة) [١] : في التلمود في دين اليهود ماذا يقولوا عن (الأمم) التي هي خارجا عن بني إسرائيل ؟ جاوب : يقولوا عنهم بهايم وحواوين .. »

---

(١) راجع بخصوص موضوعه كتاب « دم لفطير صهيون » للدكتور نجيب كيلاني ، منشورات « دار النفائس » بيروت ، ١٩٧٢ .

« .. ومن ذلك تحقق لهم أن بقية (الأمم) بهايم وهم (أي بنو إسرائيل) فقط بشر .. » (نفس المرجع ، صفحة ٢٧ ، ويقول المرجع ان الحاخام السابق أبا العافية ترجمها من الورقة ٣٥ من سفر « عابودا زاره » من التلمود ، وقد صادق على هذه الترجمة الحاخام يعقوب العينتابي الحاخام الأكبر للشام) .

وكذلك ترجم النص التالي من الورقة ٦٢ من «سفر عروبين»، وصادق على ذلك الحاخام العينتابي : « .. ومن ذلك ظاهر أن عندهم خلاف الأمم بهايم وبيوتهم خان البهايم.. » (نفس المرجع والصفحة) .

الكتبة :

« الكتبة » لدى اليهود هم مدوّنو الشريعة ، وبالعبرية « سوفير »، أي كاتب الأسفار . ويقصد بكلمة « كتبة » بشكل خاص مدونو الشريعة والكتب المقدسة بعد السبي إلى بابل ، إلى جانب الفريسيين . ولهؤلاء في « العهد الجديد » سمعة سيئة جداً ، إذ يحملهم السيد المسيح وتلاميذه على السواء مسؤولية التحريف الكبير في الكتب المقدسة السابقة ، ويشار اليهم دوماً في « العهد الجديد » بكثير من الازدراء والاحتقار (« الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون ... ») . إلا أنهم يتمتعون بسمعة ممتازة واحترام زائد لدى اليهود الاورثوذكس بشكل خاص ،

لأنه لولاهم لما بقيت الشريعـــة كما هي اليوم – أو بالأحرى لما كُتبت بالشكل الذي نعرفه اليوم .

التوحيد عند اليهود :

يقول ايزيدور ابشتاين في هـــذا الصدد بالحرف الواحد (Le Judaisme – Payot – P. 8) (إن «ابرام» الذي غيّر اسمه فيما بعد إلى « ابراهيم » ، كان أول الموحدين اليهود ، وقطع ابرام صلاته مع عبادة الأصنام ، وكرّس نفسه لخدمة الإله الواحد الأوحد الذي اعترف به كخالق للسموات والأرض) .

إلا ان أحد علماء اليهود يؤكد في كتاب ظهر هـــذا العام: « صياغــة التاريخ اليهودي » (The Shaping of Jewish History , Prof . Ellis Rivkin , New York , 1972). ان فكرة التوحيد وتطبيقها لدى اليهود ، لم ترتكز على أسس دينية أو روحية بقـــدر ما ارتكزت على ضرورات سياسية واقتصادية ، وذلك على أثر منافسة شديدة على زعامة اليهود بعد النفي إلى بابل كتب النصر فيها للفريسيين ، وهؤلاء كانوا باتفاق جميع المؤرخين ، أصحاب الأثر الأكبر والأبقى في صياغة تاريخ وشريعة اليهود .

أما المشككون في كون اليهود موحدين منذ نشأتهم فهم كثر وكثيرون منهم هم من اليهود أنفسهم . فكما يقول البروفسور رفكن ظهرت فكرة التوحيد لدى اليهود ورسخت بناء على مقتضيات

معينة تاريخها محدد بدقة ، وهو تاريخ الكتبة الفريسين في بابل، أي حوالي العام ٤٠٠ قبل الميلاد ، وهي الفترة التي «ألفوا» فيها الأسفار الخمسة الأولى من التوراة . ومن هؤلاء المشككين من يعتمد على برهان لغوي طريف ، إذ أن أول كلمة كتبت من قبل هؤلاء الفريسيين هي « في البدء خلق الله السماوات والأرض » ، (تكوين ١ : ١) ، وفي النص العبري (في البدء خلقت **الآلهة** السماوات والأرض) ، وفيما يلي ذلك ، وبنـــاء على استنتاج البروفسور رفكن ، اعتمد الكتبة صفة المفرد عوضاً عن الجمع لوصف الاله .

ويلتقي هـــذا الكاتب مع العالم اليهودي سيجموند فرويد Sigmund Freud [١] في أن فكرة التوحيد انطلقت من تطور معين في تاريخ اليهود ، انما يختلف معه في ان هذا التطور كان لأسباب سياسية واقتصادية ، وقد كان من نتيجة ذلك ان أصبغت صفة الاله الواحد والأوحد على اله اليهود القبلي .

ويذهب فرويد الى تقديم نظرية مفـادها ان اسم اله اليهود كما ذكر أحيـــاناً في التوراة ، أي (آدون) أو (آدوناي) مأخوذ من اسم الاله (آتون) الفرعوني ، والمشتق منه اسم الفرعون (اخناتون) ، لكن يعترف بضعف النظرية وافتقارها إلى البرهان ، ما عدا مرجع واحد ، The Life And Times

---

(١) « Moïse et le Monotheisme », Gallimard, Paris.

يقول : ان الإله « آتون » of Ikhnaton, A. Weigall, 1923.
في شمالي سوريا هو دون شك من نفس الأصل .

إلا أن النظرية التي يتفق عليها العلمــاء أكثر من غيرها تقول ان إله اليهود « يهوه » هو تطور طبيعي وبطيء من مرحلة تعدد الآلهة التي مرّ بها اليهود ، شأنهم شأن القبائل البدائية الاخرى، تلك الآلهة التي كان « يهوه » مجرد واحد منها ، الى مرحلة الإله الواحد، وقد يكون نتيجة هذا التطور تلك الحرب الشعواء التي يشنها « يهوه » ، من خلال التوراة ، على غيره من الآلهة والتي بقيت آثارها عالقة في أذهان اليهود المتعددي الآلهة بالفطرة .

يقول هومير سميث Homer W. Smith « Man and his Gods», page100. : « وقد اتخذ « يهوه » لنفسه، خلال تطوره البطيء في فوضى تعـــدد الأديان ، الكثير من خصائص آلهة اسرائيل المتعددة »، والصفة المشتركة لأكثر آلهة القبائل القديمة هي الحجر والنــار ، وتشترك هاتان الصفتان معاً لتشكلا جبلاً بركانياً، وهو رمز القوة الهائلة : « هوذا اسم الرب (يهوه) يأتي من بعيد غضبه مضطرم والحريق شديد وشفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة وروحه كسيل طــاغ يبلغ الى العنق فيغربل الامم بغربال من البوار .. » (أشعيا ٣٠ : ٢٧ — ٢٨) .

ويؤكد القرآن الكريم رسوخ « هذه الروح » عند اليهود من خلال سرده لقصة موسى عندما ذهب ليكلم ربه فرجع فوجدهم

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خوار » (الأعراف : ١٤٨) . ورغم توالي الأنبياء فيهم فقد احتفظوا بصورة معينة لإلههم يهوه كما مر آنفاً .

التلمود :

وضعت تراجم عديدة للتلمود الى عدة لغات ، لكنها كلها محذوفة الحواشي والأقسام التي لا يجوز الاطلاع عليها لغير الحاخاميين المتقدمين في اللاهوت . وآخر هذه التراجم هي التي وضعها الدكتور ايزيدور ابشتاين ، وقد شملت ٣٥ مجلداً بين عام ١٩٣٥ و ١٩٥٢ ، بالانكليزية .

أما النسخة العبرية الأصلية من تلمود بابل ، فيجري إعادة طبعها الآن في اسرائيل وذلك بعد مئة سنة على آخر طبعة منها. ويقوم على ذلك الحاخام آدين شتاينزالتز وسيطبع منها، كما أعلن، ستة آلاف نسخة فقط ، بينما نعلم أن الملايين من نسخ الكتاب المقدس الذي يشمل التوراة ، يطبع كل سنة، مما يدل على حرص القائمين على الدين اليهودي على المحافظة على سرية التلمود . والنسخ الستة آلاف لن تباع بل ستوزع بسعر رمزي قدره عشرة دولارات لكل جزء من أجزاء التلمود الخمسة وثلاثين على المشتركين فقط ، وقد غطيت الاشتراكات منذ عام ١٩٦٠ م .

أما في الحالات التي توصل فيها اليهود الى شيء من السيطرة والقوة في بعض البلدان فقد أدت بهم رعونتهم المتمثلة في طبعهم

التلمود بشكله الأصلي ، الى الكثير من المتاعب والاضطهادات والحرق العلني لنسخ التلمود لما حواه من الأشياء المستنكرة (انظر كتاب التلمود لظفر الاسلام خان المذكور سابقاً، الصفحات من ٤٠ الى ٤٩) ومنذ ذلك الحين ، أصبح التلمود قطعاً نادراً بل ويقال ان نصه الأصلي الكامل، المطبوع في البندقية عام ١٥٢٠–١٥٢٣ لا توجد منه سوى ثلاث نسخ فقط .

وحادثة فريدة نموذجية وقعت تعطينا فكرة واضحة على حرص اليهود على سرية التلمود ، ففي حادثة الراهب توما الذي قتل في دمشق عام ١٨٤٠ قبض على الحاخام موسى أبو العافية الذي اعتنق الاسلام فيما بعد وقام بترجمة نصوص سرية من التلمود وأعطاها الى الوالي شريف باشا ومستشار قنصلية فرنسا الذي كان يتابع القضية باهتمام بالغ . فلما بلغ الأمر أعيان اليهود في دمشق ، حاولوا رشوة المدعو خليل الصيدناوي ، وهو صاحب حانة في حي اليهود ، بمبلغ نصف مليون قرش ذهبي ، وذلك بحضور قنصل النمسا وبواسطة مندوب اليهود اسحق بيشوتو، لاتهام نفسه بالجريمة، ثم يعطوه بعد ذلك الأمان الكامل من العقاب على الشكل الذي يطلبه . أما الشرط الذي طلبه اليهود فهو « عدم الفحص والتدقيق الجاري في كتب ديانتهم لأنه مهين للطائفة ، والترجمة والتفسيرات التي استخرجها أبو العافية من الكتب العبرانية ، يلتمسوا عدم ذكرها بجرنال القضية بل ويترجوا اعدامها بالكلية ..

وان الجائزة لأجل ذلك خمساية الف غرش (انظر الاصول العربية ص ٣٦) » .

وقد شمل «جرنال» القضية من الصفحة ٢٤ الى ٢٩، ومن ٣٠ الى ٣٥ فقرات مطولة من التلمود ترجمها الى العربية العامية الحاخام السابق أبو العافية وصادق على صحتها يعقوب العينتابي وهو ربي اليهود في الشام في ذلك الوقت .

الخروج من مصر :

يتطرق المؤلف هنا إلى ناحية دقيقة خطيرة وهي تشكيكه في حقيقة حدوث « الخروج » من مصر تحت قيادة موسى ، والموصوف في « سفر الخروج » في التوراة . والمؤلف يدعي أن هذه الهجرة الجماعية إنما هي من تأليف واضعي التوراة ، ولم تحدث بالواقع إلا في مخيلة المؤلفين الفريسيين. إلا أن عداء المؤلف الظاهر لليهود، ومحاولاته لتكذيب كل دعوتهم ونبش أسرارهم، لا يمكن اعتبارها الدافع الوحيد لرفضه تصديق حقيقة واقعة « الخروج » من مصر ، وكذلك الروايات الاخرى عن هذا الخروج ، والتي يسميها اسطورية . فهناك فئة كبيرة من العلماء ، وجلّهم من اليهود ، يشككون في حقيقة هذه الرواية أيضاً . (ولا نعلم هدفهم من ذلك بالضبط ، الذي ربما يكون زعزعة الإيمان بروايات الأناجيل والقرآن الكريم للحادثة) .

يقول «ناحوم نوربرت غلاتزر Nahum Norbert Glatzer» ، وهو استاذ التاريخ اليهودي ورئيس قسم الدراسات اليهودية في جامعة « براندايس Brandeis » اليهودية في الولايات المتحدة : « لا توجد هناك أية إثباتات اركيولوجية ، أي أثرية ، تشير إلى واقعة (الخروج) ، ولا حتى في الآثار المصرية ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن اليهود المصريين ، في ذلك الوقت ، لم يتعدوا بضعة آلاف ، وقد يكونوا أقل من ذلك بكثير ، بحيث لم يشكل خروجهم حتماً أي تأثير على مصر » .

وقد ذكر هـذا النص في موسوعة « فنك اند فاغنلز » ، (ص ٥٢٤٢ ، جزء ١٤) ، وهي أيضاً صاحبـة « الموسوعة اليهودية » . إلا أن هذه الموسوعة تعود فتناقض نفسها إذ تقول (ص ٦٢٢٣ ، جزء ١٧) ان عدد اليهود حينئذ كان ٦٠٠٠٠٠ . والموسوعة تؤكد ما قاله المؤلف من أن « سفر الخروج » ألّفه الكتبة البابليون خلال النفي إلى بابل ، ثم جمعت هذه النصوص كلها ، في النص الذي وصل إلى أيدينا ، حوالى سنة ٤٠٠ ق.م. في مدرسة صفد ، وتقول الموسوعة (ص ٣٣٤٥ ، جزء ٩) : « يعتقد معظم العلمـاء أن البنتاتوك (أي الأسفار الخمسة الاولى من التوراة ، ومنها « سفر الخروج ») والتي عزي تأليفها لموسى عليه السلام ، إنما قد ألّفها (أو ركّبها constructed) بشكلها الحاضر الكتبة البابليون أثناء النفي » .

والثابت أن نبوءة « حزقيال » ، وهي ، من وجهـة نظر

العلماء الأهم بين كتب التوراة ، لم تأتِ البتة على ذكر موسى عند تطرقها بشكل موجز إلى « الخروج » من مصر ، على الرغم من سعة كتاب حزقيال وشموله . ومن البديهي ان لهذا الصمت عن موسى معنى كبيراً ، لا سيما وان من المتفق عليه ان « نبوءة حزقيال » هي وحدها بين كتب التوراة التي كتبها صاحبها بنفسه ، بينما الكتب الاخرى أُلـِّفت تأليفاً كاملاً . وبالواقع ، فقد أتى ذكر الخروج من مصر في نبوءة « حزقيال » بشكل موجز وبعبارات رمزية في فصل واحد ، هو الفصل العشرين من أصل ثمانية وأربعين فصلاً تشملها النبوءة .

إلا أن عالماً يهودياً آخر وجد رابطة أثرية واحدة ، ولكنها ذات أهمية محدودة ، بين « سفر الخروج » وبين التاريخ المصري القديم . يقول العالم ، وهو « إيمانويل فيليكوفسكي Immanuel Velikovsky » في كتابه « عوالم تصطدم Worlds in Collision » (منشورات Dell صفحة ٧٥ ، طبعة ١٩٧١) ، ما خلاصته : اكتشف معبد في العريش يحمل عبارة مطولة منقوشة بالهيروغليفية (وهي الكتابة المصرية القديمة) تقول : « .. ولاحق الفرعون الشريرين إلى المكان المسمى (بي — خيروتي Pi - Khiroti) » ، والمكان نفسه أتى ذكره في سفر الخروج (١٤ : ٩) : « واتبعهم المصريون وهم نازلون إلى البحر ... عند (فم الحيروت) » ، وكلمة (فم الحيروت) نقلت هكذا : « Pi - ha - Khirot » في

النص الانكليزي للتوراة ، علماً أن حرفي « ها ha » مما ما يقابل « الـ » التعريف بالعبرية .

ولا بد من الملاحظة هنا أننا لم نتمكن من مطابقة النص المنقول من معبد العريش مع ترجمته العربية ، ان وجدت ، لعدم توصلنا الى معرفة ذلك . ولا ندري ما اذا كانت كلمة « Pi - Khiroti » قد ترجمت الى « فم الحيروت » ، لذلك اكتفينا بذكر الإسم بالانكليزية نقلاً عن الكتاب المذكور .

ولم يكن العالم « فيليكوفسكي » يحاول تأكيد واقعة « الخروج » أو نفيها ، بل ذكر العبارة المشار اليها صدفة ، ونقلاً عن مرجعين مهمين ، وذلك في سياق محاولة لتفسير الظواهر والاضطرابات الطبيعية العظيمة التي حدثت في العصور القديمة ، إذ يقول ان هذه الظواهر إنما نتجت عن اصطدام الارض بذنب كوكب مذنب مر على مقربة من الأرض مرات متعددة ، فكان من تأثيره حدوث الظواهر الطبيعية الخارقة التي ذكرت في « سفر الخروج » في مصر ، كما حدثت في نفس الوقت بأماكن اخرى من العالم ، ولم تحدث نتيجة معجزات كما تدعي التوراة . ومن ثم يتوسع الكاتب بالاستشهاد ليثبت أن النقش على معبد العريش إنما هو وصف لنفس الواقعة المذكورة في « سفر الخروج » ، مما لا مجال لذكره هنا .

نعود الى واقعة « الخروج » . من غير الثابت تاريخياً أن

الخروج بالشكل الكثيف المذكور بالتوراة قد حدث فعلاً « ثم ارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكّوت بنحو ست مئة الف ماش من الرجال خلا الأطفال وخرج أيضاً معهم لفيف كبير وغنم وبقر ومواش وافرة جداً » (الخروج ١٢ : ٣٧ — ٣٨) ، وقد قدر « هومير سميث » عددهم الكامل مع من معهم بمليون وخمسمائة الف شخص (المرجع المذكور ، ص ٩٤) ، ولا يمكن طبعاً أن تسير قافلة بتلك الضخامة دون أن تترك أي أثر تاريخي ان في مصر او في سورية .

ملاحظة اخرى هنا تثير التساؤل ، وهي ذكر «رعمسيس»، فكما نعلم ان أول فرعون حمل هـذا الاسم تبوأ العرش حوالي العام ١٣١٥ ق. م. بينما التاريخ المتفق عليه لحادثة الخروج كما روتها «التوراة» هو ١٤٥٠ ق. م. أي قبل أكثر من مائة سنة . فمن هو « رعمسيس » هـذا ، وكيف أتى ذكره ولم يكن موجوداً بعد !

أما كيفية تحديد تاريخ واقعة « الخروج » تاريخياً ، فقد اعتمدت على أبحاث واستنتاجات عدة ، تستند على مقارنات معقدة بين كافة المخطوطات والأساطير والآثار المتوفرة ، ومنها أنه قـد جرت مؤخراً حفريات في مدينة اريحا ، أظهرت أن زلزالاً قد حدث فيها وهدم أسوارها بين الأعوام ١٤١٣ و ١٣٠٠ ق. م. وهي الواقعة المذكورة في « سفر يشوع » (٦ : ٢٠) ، وهذه الفترة تتوافق مع تاريخ الخروج المتفق عليه ، والذي دام

أربعين عاماً في الصحراء قبل الوصول الى أرض كنعان وبعده بسنوات احتل العبرانيون أريحا بقيادة يشوع بعد موت موسى.

ولا بد من التوقف لحظة عند مسألة تحديد تواريخ الأحداث القديمة ، إذ أقل ما يمكن القول عنها هو أنها تقريبية الى أبعد الحدود . وقد أفرد العالم المعاصر الألماني « كورت مارك Kurt W. Marek » فصلاً طويلاً لمناقشتها في كتابه المنشور عام ١٩٥٥ بعنوان (Le Secret des Hittites Plon - 1955) « أسرار الحثيين » .

ويعطي هذا العالم أمثلة متعددة عن تقريبية التأريخ ، اخترنا منها هذه الفقرة الطريفة من الفصل الثامن (علم التواريخ) من كتابه المذكور: « ... وعلى سبيل المثال، فإن أول تاريخ حدد لابتداء التاريخ المصري ، وهو تأسيس اول سلالة من قبل الملك مينيس الذي حقق وحدة مصر ، قد جرى تعديله على التوالي ، وخلال قرن من الزمن وعلى مرّ الاكتشافات الجديدة ، فقدّم من العام ٥٨٧٦ ق. م. الى العام ٢٩٠٠ ق. م. وعلى الرغم من ذلك ليس هناك أي برهان ان هذا التاريخ الأخير ثابت وصحيح ونهائي » .

رمزية البنتاتوك :

يستنتج المؤلف من هذا النص (ص ٣٠) أن كامل البنتاتوك

في التوراة رمزي وأسطوري ، طالما أن سلالة اليهود من ابراهيم ابتدأت برمز ، حسب أقوال بولس المذكورة .

ويجدر التوقف هنا قليلاً لأن استشهاد المؤلف ببولس بالذات ذو مغزى . لكون بولس حاخام يهودي سابق اعتنق المسيحية ، لذلك فهو يعرف جميع أسرار اليهود وأمكنه فضحهم . وكان بولس يدعى شاوول الطرسوسي (نسبة إلى طرسوس في كيليكيا) . ومن نتائج ذلك كان حقد اليهود كبيراً على بولس . فقد جاء في أعمال الرسل ٢١ — ٢٦ ما يلي :

« حينئذ أخذ بولس الرجال .. ودخل الهيكل ... (ثم) رآه اليهود الذين من آسية فهيجوا الجمع كافة وألقوا عليه أيديهم صارخين : يا رجال اسرائيل أغيثوا . هـــذا هو الرجل الذي يعلّم جميع النـــاس في كل مكان خلافاً للشعب والناموس (أي الشريعة اليهودية) ». كما جاء أيضاً في أعمال الرسل (٢٣ — ١٢) « تعــاهد بعض اليهود وتحالفوا على ابسال أنفسهم قائلين انهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس». وسبب عزمهم على قتله هو ما قاله« كلوديوس ليسياس » القائد الروماني في رسالة إلى الوالي «فيلكس» : « ان اليهود قد أمسكوا هذا الرجل وأزمعوا أن يقتلوه ... وأردت أن أعرف مــاذا يشكونه به ... فوجدت انه ُيشـْكى بمسائل من ناموسهم (أي انه تساءَل بمجرد تساؤل في الشريعة فاستحق القتل» (أعمال الرسل:٢٣ — ٢٦ وما يلي) .

والجدير بالذكر هنا ان معظم متاعب اليهود أتتهم من نفس حاخاميهم ، إذ ترك بعضهم اليهودية واعتنق النصرانية أو الاسلام لما هـــالهم ما اطلعوا عليه في الشريعة اليهودية . ومن هؤلاء الحاخامين المرتدين، إلىجانب أولهم شاوول الطرسوسي، نيكولاس دونين وبابلو كريستياني في القرن الثالث عشر (اعتنقا المسيحية) ، ويوهان فيفر كورن في القرن السادس عشر (اعتنق المسيحية)، وأبو العافية، الحاخام الدمشقي الذي اعتنق الاسلام عام ١٨٤٠ وفضح دور اليهود في قتل البادرى تومـــا وخادمه في دمشق [١] .

العنصرية لدى اليهود :

أدّت العـــادات والتقاليد الاجتماعية الدقيقة التي ابتدعها وأصّلها زعماء اليهود أثنـــاء السبي إلى بابل ، إلى خلق روح عنصرية خاصة قلما نشاهد مثيلاً لها لدى الشعوب الاخرى ، على الرغم من المحاولات العدة التي قامت بهـــا جماعات غير يهودية لتأكيد وتثبيت عرق خاص بها ، مثل النازية وغيرها .

وعـــدد اليهود المحدود والتصاقهم الفعلي والروحي بعضهم

---

(١) راجع كتاب التلمود لمؤلفه ظفر الاسلام خان ، منشورات « دار النفـائس » ، بيروت ، ١٩٧١ — ورواية الدكتور نجيب الكيلاني « دم لفطير صهيون » ، منشورات نفس الدار ، بيروت ، ١٩٧١ .

ببعض ، وكذلك سيطرة زعمائهم الدينين والسياسيين المطلقة عليهم ، جعلت هذه الروح العنصرية تتحقق حيث فشلت مع الآخرين ، وذلك بتأصيل هذه العادات الخاصة لدى اليهود بحيث توارثت جيلاً بعد جيل ، كما فسّر ذلك الدكتور « آرثر روبن ». وقد أعطت الحركة الصهيونية قوة جديدة لهذه العادات وللروح العنصرية الفريدة التي نتجت عنها ، بالإنجازات العديدة التي حققتها لصالح اليهودية العالمية .

وفي عصرنا العلمي الحالي ، أخذ علماؤهم يفسرون هذه العنصرية ويؤكدون حقيقتها علمياً، بعد أن أصبحت العنصرية، بشكلها العاطفي والعفوي ، مرفوضة ، بل ومكروهة .

إلاّ أن القارىء لا يشك مطلقاً أن هذه الأبحاث العلمية إنما هي موجهة إلى اليهود فقط دون غيرهم ، فهي تستعمل نفس الحجج لدحض مبادىء العنصرية لدى الشعوب الاخرى .

وأهم هذه المحاولات العلمية قام بها طبيب وعالم فيزيائي افرنسي، البروفسور جورج لاخوفسكي[1] في أواخر الثلاثينات. يقول هذا العالم في كتابه « المدنية والجنون العنصري » عند معالجته قضية عادات الطعام والزواج لدى اليهود : « يتبع

---

(١) Georges Lakhovsky - «Civilisation et Folie Raeiste» (Ed. de « La Maison Française», New York 1940) .

اليهود في البلاد الشرقية الاصول الدينية الدقيقــة في الأكل ، وهذا ما يعطي دمهم خصائص رفيعة (Qualité supérieure) (ص ٣١) ... وعندما يتزوج اليهود من بعضهم ، يخلق اجتماع العروق التي يتألفون منها نماذج فريدة بعبقريتها.. مما يثير الغيرة والحسد لدى الشعوب الاخرى (ص ١٠٠) .. »

ويفرد العالم المذكور فصلاً طويلاً يختم به مؤلفه « العلمي » ، نكتفي بترجمة عنوانه فقط دون الإطالة في التفصيل، لما فيه من طرافة في التناقض مع مــا سبق ذكره من عنصرية الدم النقي لدى اليهود : « دحض النظرية الخيالية عن التفوق العرقي بسبب الدم » (الفصل ٩ ، ص ١٩١) ، ويقدم في هــذا الفصل براهين ومقارنات علمية عن اختلاط الدم بين البشر ، واختلافه جذرياً باختلاف بقعة الأرض التي يعيشون عليها . لكن هــــذه الحجج لم تمنع المؤلف من إضفــاء صفات ومزايا خاصة على دم اليهود ، وبالتالي عرقهم ، ممــا يبرر ، حسب رأيه ، تفوقهم وسيطرتهم على العالم ، بمساعدة « إلههم يهوه » ! (ص ١٨٥) .

عيد الفوريم :

يقع في ١٤ و ١٥ آذار في التقويم العبري ، وهمــا اليومان اللذان أتي بهما على ٧٥٠٠٠ من الفرس أعداء اليهود بأمر من الملك احشوروش زوج استير اليهودية ، وبناء على طلب من هـــذه الأخيرة دفعها اليه مردكاي ، « واجتمع سائر اليهود ... وقتلوا

من أعدائهم خمسة وسبعين ألفاً ... فعلوا ذلك في اليوم الثالث عشر من آذار واستراحوا في اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم وليمة وفرح ، أما اليهود في شوشن فانهم ... استراحوا في اليوم الخامس عشر منه وجعلوه يوم وليمة وفرح » (استير ٩ : ١٦ وما يلي) .

المدراش :

هو التعليم الشفهي للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه تعمق في الدراسة وهو على نوعين « مدراش حلقة » وهو المتعلق بالنصوص التشريعية « ومدراش هاجاداه » وقد تناقلها العلماء اليهود شفهياً من جيل الى جيلٍ الى أن جرى تدوينها في حوالي القرن السادس من الميلاد . والمدراش هو توسع شفهي ومعظم الأحيان بكثير من التصرف في نص توراتي لكنه أصبح بعد تدوينه ، جزءاً من التراث اليهودي (المترجم عن «اليهودية» تأليف الدكتور ايزيدور ابشتاين) .

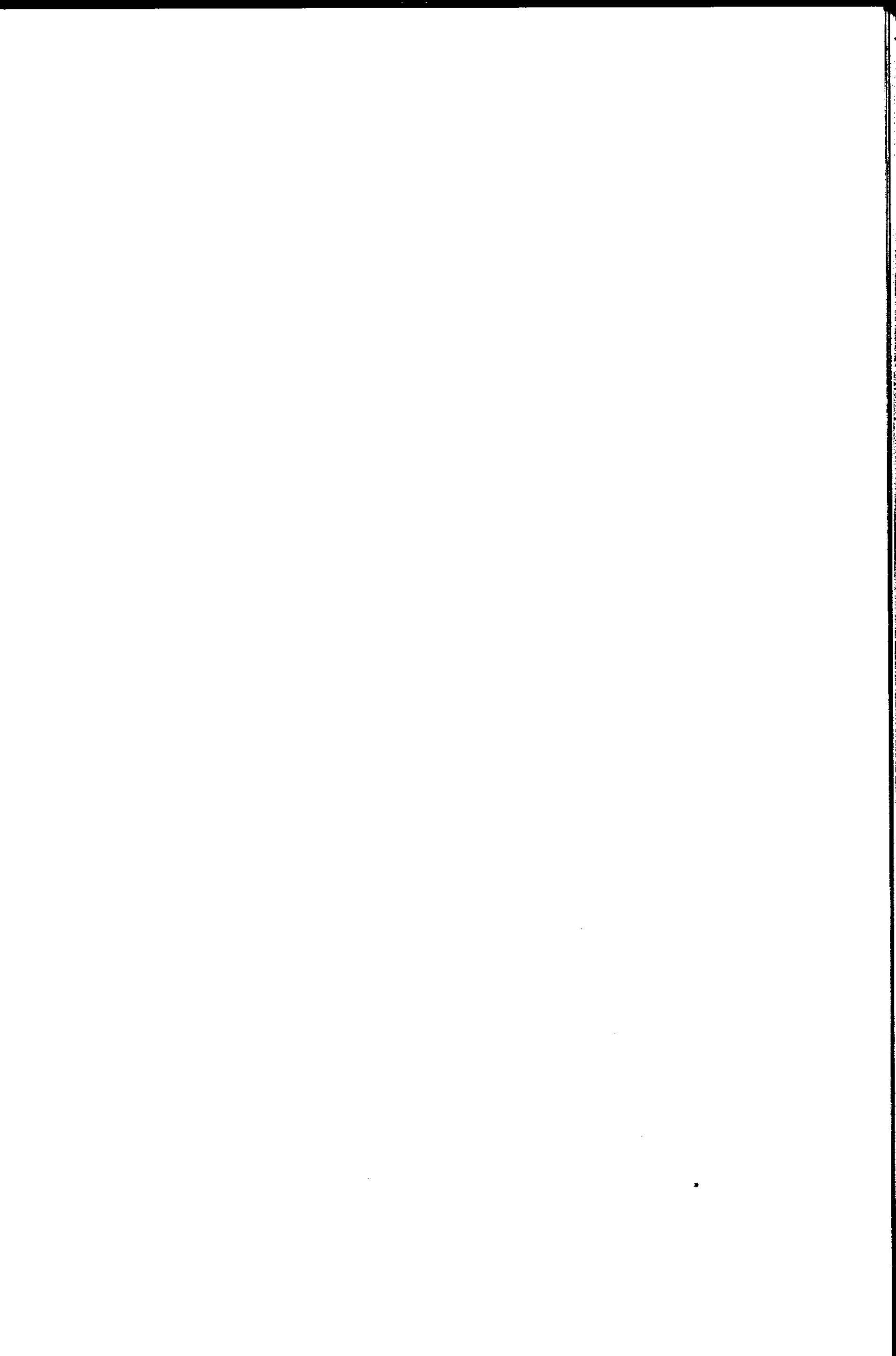
يهوه :

«يهوه» هو اسم إله اليهود القبلي . وطريقة لفظ هذه الكلمة مجهولة . وتطلق عليها عبارة « Tetragramme او Tetragram-maton » ، أي « الكلمة الرباعية » ، وتكتب YHWH دون أحرف علة ، وتكتب أحياناً Jehovah باعتبار أنها الأقرب الى

طريقة لفظها المقدرة . يقول « ايزيدور ابشتاين » في كتابه المشار اليه آنفاً : « ان طريقة لفظ الكلمة الرباعية مجهول، لذلك يجدر بنا أن نترك التسمية الالهية دون أحرف علة » .

أما سبب اندثار طريقة لفظ الكلمة ، فيحاول تفسيره الاستاذ « شاوول ليبرمان Saul Liebermann » استاذ الادب الفلسطيني وعميد «كلية اللاهوت العبرية» في أميركا ، إذ يقول: « بسبب تفسير غريب للاصحاح ٢٠ : ٧ من « سفر الخروج » (لا تحلف – او تنطق – باسم الرب إلهك باطلاً) ، وكذلك الاصحاح ٢٤ : ١١ وما يليه من « سفر الأحبار » (وجدّف ابن الاسرائيلية على الإسم ... فقادوه الى موسى ... فألقوه في السجن) ، اعتبر الاسم أقدس من أن يلفظ (انظر موسوعة « فنك اند فاغنلز » ، طبعة ١٩٦٩ ، الجزء ١٤ ، ص ٥٢١٣) . وهكذا فقدت طريقة لفظ اسم إله اليهود .

وجدير بالملاحظة هنا أن اليهود العرب المعاصرين ، لا سيما المتدينين منهم، عندما يتكلمون بالعربية ويضطرون الى استعمال اسم ربهم ، يستبدلونه بكلمة « القدرة » أو « الحق » ، إذ يقولون مثلاً « لما ظهرت له القدرة » أو « لما تجلى له الحق » . (راجع كتاب الدكتور أسد رستم « الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا » ، صفحة ٢٩ وما يليها ، حيث ذكرت شهادة الحاخام أبي العافية في معرض التحقيق في مقتل الأب توما في دمشق سنة ١٨٤٠) .



فهرست

محتويات الكتاب

إن للشرور في السلوك اليهودي جذوراً عقائدية ، فالتوراة بوضعها الحالي تفسح المجال واسعاً أمامهم «كشعب مختار» لكي ينهبوا ويسرقوا ويقتلوا الشعوب الأخرى . ولا يمكن فهم الشخصية الاسرائيلية إلا من خلال دراسة الديانة اليهودية .

وهذا الكتاب هو دراسة تمثل وجهة نظر عالم لاهوتي مسيحي ، يبين فيها تاريخ التوراة وغاياتها بشكل علمي موضوعي ، مما يحتم على البشرية جمعاء اعادة النظر في موقفها من بني اسرائيل .

